وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر *بسكرة*

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ـ قطب شتمة ـ

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

الوضع الثقافي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني1771م 1837م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر

إعداد الطالبة: إشراف الدكتور:

عمـــاري نوارة لخضر بن بوزيد

السنة الجامعية: 2017/2016.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾

سورة المجادلة الآية 11

الإهداء

يشرفني أن اهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما، إلى كل أفراد العائلة وجميع الأصدقاء. (أمين، نورهان، حياة، سارة، أحلام، سعاد)

شكر وتقدير

الشكر والحمد لله تعالى الذي وفقني في إتمام هذا العمل، واثني الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أقدم تشكراتي الخالصة والمليئة بالتقدير والاحترام إلى الدكتور المشرف **بن بوزيد لخضر** الذي ساعدني بنصائحه وتوجيهاته الرشيدة، كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذتي بقسم التاريخ والى أصدقائي وزملائي الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد .

مقدمـــــة

يعد بايلك الشرق من أكبر أقاليم ايالة الجزائر ثروة وأوسعها مساحة وتنوعا من حيث التضاريس والمناخ، هذا ما أعطاه تميزا بموارده الاقتصادية الغنية والمهمة عن باقي الأقاليم الأخرى، ونظرا لأهميته الإستراتيجية وموقعه الجغرافي المتميز فقد تعرض إلى أحداث تاريخية عديدة واضطرابات سياسية داخلية وخارجية انتهت بدخول البايلك تحت حكم الاتراك كما جاء في العديد من المصادر التاريخية.

وقد كان بايلك الشرق يتميز طيلة الحكم العثماني بالتقلبات السياسية والصراعات خاصة بين السلطة ورؤساء القبائل، إضافة إلى انه يتميز بكثافة سكانية عالية تضم حوالي نصف سكان الإيالة وهم خليط من السكان الأصليين وفئات أجنبية وافدة استطاعت أن تتعايش مع بعضها البعض، في إطار قوانين إدارية وتنظيمات عسكرية للسلطة العثمانية .

وتعتبر مدينة قسنطينة عاصمة البايلك، وهي من أكبر المدن في الشرق الجزائري وأشهرها، وذلك من الناحية الثقافية حيث تعتبر حاضرة علمية وثقافية مميزة لبايلك الشرق عبر مراحلها الزمنية، وفي هذه الدراسة سنسلط الضوء على الجانب الثقافي في بايلك الشرق أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ميلادي أو ما يعرف بفترة أواخر العهد العثماني وهو موضوع الدراسة والذي يحمل عنوان: الوضع الثقافي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني، ومنه نطرح الإشكالية التالية:

- **ما هي مظاهر الحياة الثقافية في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني؟**

ولا شك أن هناك تساؤلات أخرى تحتاج إلى إجابة منها:

- **ما هو الإطار الجغرافي لبايلك الشرق؟**
- **كيف كانت مساهمة المؤسسات الثقافية والعلماء في بايلك الشرق؟**

وعلى هذا الأساس تم تقسيم البحث إلى ثلاث فصول وهي كالآتي:

الفصل الأول وهو عبارة على فصل تمهيدي والذي يحمل عنوان الإطار الجغرافي لبايلك الشرق وقد تطرقت في العنصر الأول إلى جغرافية المنطقة والتقسيمات الطبيعية لها، أما العنصر الثاني فيتحدث عن الإطار التاريخي لبايلك الشرق وهو تاريخ دخوله تحت حكم الدولة العثمانية، وفي ما يخص العنصر الثالث فيحتوي على التنظيم الاجتماعي الذي يضم السكان وفئات المجتمع وبعض أعراش بايلك الشرق، أما العنصر الأخير في هذا الفصل يختص بالتنظيم الإداري والعسكري للبايلك، تطرقت فيه إلى موظفو البايلك ونظام الحكم إضافة إلى القوة العسكرية.

أما الفصل الثاني فقد كان تحت عنوان المؤسسات الثقافية في بايلك الشرق وقسم أيضا إلى أربع عناصر، الأول يتضمن أوضاع التعليم في البايلك أواخر العهد العثماني والعنصر الثاني خصصته للمراكز الثقافية في البايلك والمتمثلة في(الزوايا، المساجد، المدارس، المكتبات، ومؤسسة الوقف)، وقد جاء العنصر الثالث بعنوان الطرق الصوفية وتأثيرها في مجتمع بايلك الشرق وقد تضمن تعريف الطرق الصوفية وأشهر أنواعها في الجزائر، وأخيرا وليس آخرا العنصر الرابع الذي خصصته للحديث عن الطريقة الرحمانية كنموذج وتأثيرها في ثقافة مجتمع بايلك الشرق تطرقت من خلاله إلى تعريف الطريقة الرحمانية ومؤسسها، ثم أهم الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية في بايلك الشرق إضافة إلى تأثير هذه الطريقة على مجتمع البايلك.

والفصل الثالث والأخير فكان للحديث عن مساهمة العلماء في الحياة الثقافية في بايلك الشرق ويضم مكانة العلماء الاجتماعية في البايلك وأهم العلوم العقلية والنقلية المتداولة في تلك الفترة، وآخر عنصر يتضمن أشهر علماء بايلك الشرق في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني.

وقد استقطبت دراسة موضوع بايلك الشرق اهتمام مجموعة من الباحثين، أنجزوا أعمالا أكاديمية كمذكرة الماجستير التي أعدها رياض بولحبال بعنوان أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول، وهي عبارة على دراسة وتحقيق لمخطوط في غاية الأهمية والذي

تناول فترة تاريخية هامة من فترات تاريخ الجزائر العثماني نهاية القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ميلادي وتحديدا في بايلك الشرق، وكذلك مذكرة ماجستير التي أعدتها فلة قشاعي بعنوان "النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني1771 ـ 1837"، والتي تتضمن دراسة لبايلك الشرق بصفة عامة وكل ما يتعلق بالنظام الضريبي، إضافة إلى مذكرة لسعودي يمينة تحت عنوان الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية والتي تتحدث عن الأوضاع العامة في قسنطينة واهم الأدباء ومؤلفاتهم.

ونلاحظ من خلال هذه الدراسات السابقة أنهم لم يختصوا ويتوسعوا في المجال الثقافي عموما وما قدموا سوى معلومات عامة، وفي حد علمي أن هذا الموضوع لم يقم احد بدراسته لهذا أردت أن ابحث فيه وأحاول إضافة الأمور الناقصة.

ومن الطبيعي أن إعداد موضوع يتطلب جهدا واتقانا كبيرين ولابد من وجود صعوبات في انجاز أي بحث علمي للوصول في النهاية لتقديم بحث أكاديمي بالمواصفات المطلوبة ومنه فقد واجهتني مجموعة من الصعوبات منها:

ـ عدم توفر المصادر التي تختص في الموضوع، فمعظم المراجع المتواجدة تتحدث بصفة عامة بحكم أن المصادر الأصلية تعرضت للتلف والسرقة أثناء فترة الاحتلال الفرنسي.

ـ توفر بعض المراجع باللغة الأجنبية وهذا يتطلب الوقت لترجمتها ودراستها.

ـ ضيق الوقت وهذا راجع إلى عملية البحث عن المادة العلمية.

ـ ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بالخصوص وان وجدت فكانت تتحدث عن مدينة قسنطينة فقط.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع المتمثلة في كتاب "تاريخ بلد قسنطينة" للشيخ أحمد المبارك بن العطار، حيث أفادني خاصة في الفصل التمهيدي بما أنه يصف منطقة بايلك الشرق من جميع الجوانب، كذلك كتاب "فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها" لمؤلفه محمد ابن الصالح العنتري والذي استخدمته تقريبا

في جميع الفصول، أما بالنسبة للمراجع فقد استعنت بالعديد من الكتب منها: كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" بأجزائه الخمسة لأبي القاسم سعد الله، كذلك كتاب "ورقات جزائرية" وكتاب "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر" لناصر الدين سعيدوني، إضافة إلى كتاب "علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني" لمؤلفه احميدة عميراوي وكتاب "الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها" لصاحبه صلاح مؤيد العقبي.

انطلاقا من طبيعة الموضوع المدروس في هذه المذكرة يتوجب علينا إتباع المنهج الخاص بالدراسات التاريخية وهو المنهج التاريخي بما فيه الوصفي لاستعراض الأحداث التاريخية ووصفها بشكل دقيق وهذا فيما يخص التعريف ببايلك الشرق ووصف الوضع الثقافي فيه، والتحليلي بالاعتماد على جمع الوثائق والمعلومات لدراستها وتحليلها ثم التعليق عليها للتوصل إلى نتائج

تكمن أهمية الموضوع في أنه يلقي نظرة مركزة على أهم إقليم في ايالة الجزائر، ويبرز مدى تأثير الوضع الثقافي في بايلك الشرق بما فيه المؤسسات الثقافية والطرق الصوفية في المجتمع كذلك دور العلماء في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية، إضافة إلى المساهمة ولو بشكل بسيط في إثراء البحث العلمي التاريخي من خلال إضافة مجهود على حقل الدراسات التاريخية.

الفصل التمهيدي:

الإطار العام لبايلك الشرق.

أولا: الحدود الجغرافية لبايلك الشرق.

ثانيا: الإطار التاريخي لبايلك الشرق.

ثالثا: التنظيم الاجتماعي لبايلك الشرق.

رابعا: التنظيم الإداري والعسكري لبايلك الشرق.

أولا: الحدود الجغرافية لبايلك الشرق.

يعد بايلك الشرق من أكبر أقاليم الجزائر مساحة وسكانا عاصمته قسنطينة، وهو أخصب الأقاليم وأكثرها اتساعا[1]، حتى اعتبره بعض الفرنسيين أنه شبه مملكة[2].

ويمتد بايلك الشرق الجزائري على مساحة جغرافية واسعة قدرت ب 230 ميلا، و100 ميلا عرضا[3]، يحد بايلك الشرق شمالا البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب الصحراء إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف في حوض ريغ، واغرغر جنوبا[4]، أما الجهة الشرقية نجد الحدود التونسية[5]، والحد الفاصل بين القطرين هو وادي سراط والذي ينبع من بلاد بني مراد الواقعة إلى الشرق من الأوراس[6].

---

[1] بايلك الشرق يعتبر أيضا المجال الحيوي الذي تنتهي إليه طرق الصحراء، وتنطلق منه المسالك نحو تونس وطرابلس كما أن ساحله يتوفر على العديد من الموانئ الطبيعية الصالحة للملاحة والمتفتحة على السواحل الأوروبية للحوض الغربي للمتوسط، ينظر: فلة قشاعي: **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771–1837**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1989–1990، ص2.

[2] مؤلف مجهول: **أخبار بلد قسنطينة وحكامها**، دراسة وتحقيق: رياض بولحبال، مذكرة ماجستير في الدراسات العليا، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009–2010، ص22.

[3] عز الدين بومزو: **الضباط الفرنسيون والإداريون في إقليم الشرق الجزائري (ارنست مرسييه نموذجا)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007–2008، ص52.

[4] محمد الصالح بن العنتري: **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم عليها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق: د. يحي بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص17.

[5] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص155.

[6] أحمد الشريف الزهار: **مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر**، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص48.

إلا أن هذه الحدود بين تونس و البايلك لم تحترم من طرف القبائل الحدودية، وهذا ما جعلها توصف بالحدود المتحركة[7]. وهناك بعض المراجع تؤكد أن الحدود الشرقية تصل إلى غاية طبرقة داخل الحدود التونسية[8]، أما الجهة الغربية نجد جبال البيبان ووادي السمار الذي يمر بقرية بني منصور ويصب في البحر قرب بجاية، وسهل وادي الساحل[9]، ويدخل أيضا ضمن إقليم البايلك برج حمزه (البويرة)، لأن القائد المكلف به كان يعين من قبل باي قسنطينة[10]، هذا وقد أشار مؤرخ لآخر إلى أن سيدي عيسى الحد الفاصل بين بايلك الشرق وبايلك التيطري[11].

ويتضمن هذا الإقليم عدة مدن إستراتيجية مثل سطيف، قالمة، قسنطينة، سوق أهراس، تبسة، بسكرة، تقرت، ورقلة، إضافة إلى مدن ساحلية كبيرة وموانئ كعنابة و القل و جيجل و بجاية، بالإضافة إلى جبال البيبان وحوض وادي الصومام وجبال البابور وكتلة جبال

---

[7] لم تكن حدود إقليم قسنطينة ثابتة لهذا كانت قبل 1628 موضع خلاف بين بايات النظامين وان التخوم بين الولايتين كانت محددة بشريا أكثر مما كانت محددة سياسيا فأوطان القبائل والعشائر الموالية والخاضعة لهذا النظام أو لذلك، فالولاء لم يكن ثابتا دائما لنظام حكم واحد، كان احد العوامل التي منعت رسم الحدود بين الولايتين وسميت عند بعض الدارسين بالحدود المتحركة لأنها كانت تتحدد بالولاء والإخضاع، ينظر:احميدة عميراوي :**اهتمام الحاج احمد باي بالحدود الشرقية الجزائرية**، مجلة بوليكرومي، العدد1، الندوات العلمية لسنة 2013، ص52. انظر الملحق 1،2.

[8] جهيدة بوعزيز: **الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1887م/1185-1258هـ)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة2، 2012/2011م، ص20، 21.

[9] ارزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص32.

[10] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص324.

[11] محمد مقصودة: **الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519**-1830، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014/1435م، ص30.

الأوراس والنمامشة وجبال الحضنة وجبال الزاب[12]و الزيبان وواحات سوف في حوض وادي ريغ[13].

وقد قسم بايلك الشرق من الناحية الجغرافية والمناخية إلى عدة مناطق[14] وهي كالتالي:

أ-المنطقة الساحلية:

وتتكون من سلاسل جبلية محاذية للساحل المتوسط[15]، ابتداءا من بجاية وانتهاء بالقالة وتتميز جبال هذه المنطقة بالتدرج في ارتفاعها من الغرب إلى الشرق وهي مرتفعة[16]، وتتخللها سهول ضيقة بين البحر والجبل مثل سهول الصموم بالقرب من بجاية والصفصاف بالقرب من سكيكدة بالإضافة إلى السهل الواسع الذي يمتد جنوب مدينة عنابة، وتتميز هذه السهول بالتربة الخصبة لتوفر الأملاح فيها.

أما عن المناخ السائد في هذه المنطقة فيتميز بالاعتدال في درجة الحرارة وارتفاع مستوى التساقط الذي يزيد غالبا عن 700 مم ويصل في بعض الأحيان إلى 1000 مم في المناطق الجبلية مثل: القل والقالة ومرتفعات البابور، أما تساقط الثلوج فيقتصر على المرتفعات الجبلية مثل جبال البابور التي يصل فيها مدة تساقط الثلوج إلى 156 يوم في

---

[12] الزاب: حدد ابن خلدون الزاب على انه قاعدة بسكرة وما جاورها من قرى ومداشر وبلدان إلى جانب طبنة التاريخية ومسيلة، ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م،ص76.

[13] وادي ريغ: يقع وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية منتصبا في منخفض مستطيل الشكل طوله160 كلم، ويتراوح عرضه بين 30و 40 كلم يتميز إقليم وادي ريغ بمناخ قاري جاف وحار بمتوسط 40° ، وبالتالي يتميز بقلة الأمطار كما يزخر بالمياه الجوفية، ينظر:الطيب بوسعد: **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، غرداية، 2011، ص437.

[14] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص17.

[15] فلة قشاعي: المرجع السابق، ص2.

[16] أحمد سيساوي: **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838-1871**،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2، 2014/2013، ص14.

السنة وما يميز هذه المنطقة هو اعتدال المناخ.[17] وارتفاع نسبة التساقط ما أدى إلى وجود غطاء نباتي كثيف يتشكل خاصة من غابات الفلين، وظهور العديد من الأودية مثل وادي الصومام الذي ينبع من جبال البيبان ويصب في خليج بجاية والذي يبلغ طوله 210 كلم.

ب-منطقة الهضاب أو السهول المرتفعة:

تعتبر هذه المنطقة الجزء الفاصل بين السلاسل الجبلية للمنطقة الساحلية والسلاسل الجبلية في الجنوب والتي تتشكل من كتلة الأوراس، النمامشة[18]، الحضنة، ومنطقة الهضاب وتتشكل هذه المنطقة من سهول مرتفعة تتخللها سلاسل جبلية يتراوح ارتفاعها ما بين 900 إلى 1400 م مثل جبل يوسف الواقع جنوب سطيف وجبل مسلولة الواقع جنوب عين البيضاء.

وتنقسم هذه المنطقة إلى إقليمين: إقليم شرقي يمتد حتى حدود تونس وإقليم غربي يشمل الجهات الغربية حتى جبال البيبان، وتعتبر مدينة قسنطينة نقطة الفصل بين الإقليمين، أما عن المناخ السائد في هذه المنطقة فيتميز بقلة الأمطار وعدم انتظامها بالمقارنة مع المنطقة الساحلية إذ تتراوح نسبة تساقط الأمطار ما بين 800 و400 مم سنويا في الشمال، ويقل نمو الغطاء النباتي فالمنطقة تفتقر إلى الشروط المناخية لنمو بعض أنواع النباتات وهذا يؤثر سلبا على الإنتاج الفلاحي بالدرجة الأولى[19].

---

[17] فلة قشاعي: المرجع السابق، ص3.

[18] النمامشة: تستوطن هذه القبيلة في القسم الشرقي لجبل الأوراس، وهي خليط من هوارة وزناتة ثم نزل عليهم اولاد رشاش من وشاح الهلالي من عرب بني هلال واختلطوا بهم ونسبوا فيهم ولد بعرة بن حناش، فهم قبيلة لحنانشة الشاوية الكبيرة التي تعيش في نواحي سوق أهراس على الحدود التونسية الجزائرية، ينظر: عبد الرزاق قشوان: **السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، 2010/2009، ص14

[19] فلة قشاعي: المرجع السابق، ص4، 5.

ج- المنطقة الجبلية الجنوبية:

تتكون هذه المنطقة من سلاسل جبال الحضنة التي تشرف في جهاتها الجنوبية على الهضاب العليا وجبال الأوراس، ومرتفعات النمامشة وتبسة [20] ، وقد أثر المناخ الصحراوي في هذه المنطقة حيث تتميز بالتساقط غير المنتظم للأمطار، وتتميز أوديتها بالطول وتتصف بالخصوبة وتوفر المياه، وأهم هذه الأودية: وادي عبدي والوادي الأبيض.

د- المنطقة الصحراوية:

تشمل هذه المنطقة الصحراء الشرقية التي تتميز بالجفاف وبارتفاع درجة الحرارة التي تصل في بعض الأحيان إلى 55° في الظل، كما هو الحال في مدينة توقرت، كما تتميز بقلة الأمطار والتي تكاد تنعدم في بعض المناطق وهبوب رياح حارة تعمل على إثارة زوابع رملية قوية، وكما تخضع المنطقة إلى تأثيرات الضغط الجوي المرتفع، ما أدى إلى الجفاف الذي أثر في نوعية المناخ حيث أصبح المناخ جافا قاريا شديد البرودة ليلا في الشتاء ومرتفع الحرارة أيام الصيف.[21]

[20] عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص45.

[21] فلة قشاعي: المرجع السابق، ص 6 ـ 8.

ثانيا: الإطار التاريخي لبايلك الشرق.

بعد سقوط دولة الإسلام في الأندلس أواخر القرن الخامس عشر ميلادي استطاع الاسبان السيطرة على معظم المدن الساحلية الجزائرية ما أدى بالسكان إلى الاستنجاد بالعثمانيين الذين قدموا منذ سنة 1516 وأحبطوا أطماع الغزاة الاسبان[22]، وباعتبار قسنطينة هي المدينة الثانية بعد الجزائر العاصمة في العهد العثماني، حيث كانت عاصمة الشرق وهنا نجد عدة اختلافات في الآراء حول وصول الأتراك إليها، "فالأنبيري مثلا يجعله سنة 927هـ-1526م أي في عهد خير الدين باشا"[23].

وهناك من يرى أن دخول الترك لمدينة قسنطينة كان بعد انتهاء الحكم الحفصي بتونس أي في حدود 933هـ-1536م[24]، في حين يرى مؤرخ قسنطينة الشيخ الحاج أحمد المبارك بن العطار في كتابه تاريخ بلد قسنطينة أن دخول الترك كان عام 925هـ-1520م، بعد أن هاجمها حسن قائد خير الدين باشا واحتلها ثم خرجت على سيطرته إلى الحفصيين مرة أخرى، وكان ممثلهم فيها سنة 1527-1526م ليستردها العثمانيون في الأخير سنة 1534 ليثبتوا حكمهم فيها.

أما المؤرخ العنتري فيجعله في عهد فرحات باي سنة 1552م ، إضافة إلى رأي المؤرخ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي الذي يرى أن قسنطينة دخلت تحت الحكم التركي أثر وقعة القطن بين ميلة وقسنطينة حيث أن أتراك بونة وتونس احتلوها سنة 962هـ-1555م والحال أنهم وجدوا بها منذ سنة 941هـ-1535م.

---

[22] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص26.

[23] يمينة سعودي: **الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية**، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005، ص30.

[24] الحاج أحمد بن المبارك بن العطار: **تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870)**، تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنضر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص48.

ويتجلى لنا من الأقوال السالفة الذكر والتي تتميز بالاختلاف والتباين في تحديد إخضاع المدنية تحت الحكم العثماني، أن الحكم التركي قد استقر تدريجيا، وهذا ما يجعلنا نوفق بين هذه الآراء والأقوال، وكل هذا يرجع إلى الخلافات السياسية آنذاك بين مؤيد ومعارض للتواجد التركي في قسنطينة[25].

ثالثا: التنظيم الاجتماعي لبايلك الشرق.

أ- السكان:

إن اعتبار إقليم الشرق الجزائري من أكبر الأقاليم من حيث المساحة، فقد اعتبر أيضا الإقليم الأكثر سكانا في ايالة الجزائر[26]، حيث أنه لم تكن هناك إحصائيات دقيقة تثبت العدد الإجمالي لسكان بايلك الشرق[27]، إذ أنه توجد اختلافات في بعض الإحصائيات كما يوجد أيضا اتفاق حول عدد سكان مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، حيث نجد "وليام شالر" يحدد عدد سكان مدينة قسنطينة حسب الأهالي بحوالي 25 ألف نسمة في ذلك الوقت[28]، في حين أن بعض المراجع تقر أن عدد السكان في مدن الشرق الجزائري لا يمثلون سوى 3%[29] وهذا باعتبار أن سكان بايلك قسنطينة كانوا ريفيين بنسبة 95%[30]، وقد قدر بعض المؤرخين عدد سكان مدينة الجزائر بمائة وعشرين ألف نسمة، وجعلوا سكان مدينة قسنطينة مائة ألف نسمة، كما وصفت مدينة قسنطينة على أنها آهلة بالسكان خلال القرن 18 وأنها أجمل من

---

[25] يمينة سعودي: المرجع السابق، ص30.

[26] الإيالة: أي المقاطعة أو المحافظة أو الإقليم واستبدلت فيها بعد بالولاية، وهي أكبر التقسيمات الإدارية المعتمدة في الدولة العثمانية وقسمت الإيالة إلى سناجق والسناجق إلى أقضية والأقضية إلى نواحي وقرى، ينظر: محمود عامر: **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة الدراسات التاريخية العددان 17، 18، كانون الثاني-حزيران 2012، دمشق، ص380.

[27] عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص49.

[28] وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م**، تقريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص36.

[29] محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص47.

[30] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي1500 - 1830**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ط3، ص76.

مدينة الجزائر، وهناك أيضا من يورد أن عدد سكان قسنطينة بلغ قبيل الاستيلاء الفرنسي لها حوالي 40 ألف نسمة[31].

و ذكر بعض الضباط الفرنسيين في إحدى تقاريرهم أن عدد سكان المدينة في العهد التركي وقبيل الاحتلال الفرنسي يتراوح ما بين 25و 30 ألف نسمة من حضر ويهود وعرب[32]، وفي بداية الاحتلال الفرنسي[33]قدر أحد الفرنسيين عدد سكان بايلك قسنطينة بحوالي مليون ونصف من عدد السكان الإجمالي للجزائر والبالغ عددهم حوالي ثلاث ملايين نسمة[34].

ويمكن أن نقول أن هذه النتائج مطابقة للواقع آنذاك وهي أن عدد سكان الشرق الجزائري كان حوالي مليون ومائة وواحد وثلاثين ألف نسمة، في حين ذهب بعض الدارسين في اعتبار نسبة 5% هي النسبة الإجمالية لسكان الجزائر، وعلى هذا الأساس يكون عدد سكان الريف في الشرق الجزائري حوالي مليون نسمة والعاصمة الشرقية قسنطينة لا يقل عن 30 ألف نسمة[35]، (انظر الملحق رقم05).

ب- فئات مجتمع بايلك الشرق:

لقد تطرق العديد من الأوروبيين في دراساتهم إلى تقييم المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إلى عدة فئات معتمدين في ذلك على عنصر العرق[36]، وعلى هذا الأساس أيضا تم تقسيم سكان إقليم قسنطينة من طرف الفرنسيين إلى أعراق متمايزة وهي: القبائل، العرب الأتراك، الكراغلة، واليهود[37].

---

[31] مصطفى الأشرف: **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص219.

[32] يمينة سعودي: المرجع السابق، ص85.

[33] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص85.

[34] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص32.

[35] أحميدة عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص20، 21.

[36] ارزقي شويتام: المرجع السابق، ص50.

[37] عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص157.

1. القبائل:

وهي فئة تختلف عن باقي سكان البايلك وهم يعتبرون السكان الأصليون للبلاد[38] يتميزون بالشجاعة والعناد ولا ينشغلون بالمستقبل إلا قليلا ويتخذون من الجبال الوعرة حصونا تحميهم من كل هجوم، كما يعيشون على البساطة[39]، ويختلفون كل الاختلاف عن باقي الفئات من حيث اللغة والعادات والتقاليد[40]، كان القبائل يعرفون العديد من الصناعات كصناعة النحاس، الحديد، الأسلحة، والبارود كما كانوا يحيكون من الصوف الأغطية والألبسة بالإضافة إلى أنهم يمتهنون الفلاحة، خاصة إنتاج الزيتون، حيث كانت الزيوت التي تعرض في أسواق قسنطينة من منطقة القبائل القاطنة في منطقة البابور ونواحي فرجيوة[41].

2.العرب:

وهم البدو المنتقلون يسكنون الخيام مجتمعين فيها بين 50 و100 خيمة يطلق عليها اسم الدوار[42]، تتميز حياتهم بالترحال بين الشمال والجنوب[43].

3.الاتراك و الكراغلة:

الأتراك العثمانيون: وهم الذين يشكلون الطبقة السياسية للبلاد، يتحدثون باللغة التركية كانت هذه الفئة قوية وذات نفوذ واسع ومحتكرة للمناصب الحكومية[44]،

---

[38] ناصر الدين سعيدوني: ورقات...، ص157.

[39] حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تقديم وتعريف وتحقيق: د محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث الجزائر، 2005، ص15.

[40] يمينة سعودي: المرجع السابق، ص40.

[41] ناصر الدين سعيدوني: ورقات...، ص158.

[42] فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام احمد باي 1832-1837**، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص89.

[43] مصطفى احمد عمر أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص255.

[44] عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص73.

عددهم قليل ببايلك الشرق، وقد كانوا يؤلفون فرق الجيش ويقدمون خدمات مفيدة[45].

أما عن الكراغلة فهم الفئة التي يسميها الأوروبيون الكولوغيون وهم نتاج أب تركي وأم جزائرية، وهذه الفئة في نظر الأتراك نتاج اجتماعي أدنى منهم مرتبة فأطلقوا عليهم أبناء العبيد[46]. فلم يكن لهم الحق في الانتساب إلى الجيش والحصول على مناصب إدارية، وتبلغ العائلات التركية و الكرغلية حوالي 5025 عائلة في قسنطينة، كما تتميز هذه الفئة بامتلاكها ثروات وعقارات هائلة وقد استطاع البعض منها الوصول إلى الحكم مثل أحمد باي[47]آخر بايات قسنطينة[48].

4.اليهود:

وهم فئة أجنبية قدر عددهم في بايلك الشرق ب 1000 عائلة يهودية ، فيما توجد دراسة أخرى قدرت عددهم بحوالي 5000 يهودي من بين 30000 يهودي على مستوى الإيالة الجزائرية، عرفت هذه الفئة بالخبث في معاملاتهم والتحايل، كما قال احمد باي:" إنهم

---

[45] ناصر الدين سعيدوني: ورقات...، ص159.

[46] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، 1429، 2008، ص166.

[47] أحمد باي: هو الحاج احمد باي بن محمد الشريف بن احمد القلي، وابن الحاجة رقية بنت بن قانة، ولد عام 1201هـ-1786م تلقى منذ صغره تربية دينية، واكتسب ثقة متنوعة مكنته من الاطلاع على الأساليب الإدارية والحربية، تقلد منصب قائد العواسي (1805-1816) هما سمح له بالتصرف في شؤون عشائر الحراكتة ثم تقليد منصب نائب لأحمد المملوك باي بقسنطينة، ثم اسند إليه منصب الباي ليصبح حكما للشرق الجزائري (1826-1837)، فأظهر كفاءة وحزما وشدة في معالجة الأمور مما اكسبه عداوة بعض شيوخ القبائل، وعندما تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي 1830، شارك بقوة عسكرية في مواجهة الاحتلال، كما نجح في التصدي للحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة لكنه لم يصمد في الحملة الثانية ومن هنا تبدأ مقاومته (أنظر الملحق رقم 3)، ينظر:

Ernest mercier: **les deux sièges de Constantine(1836 – 1837)** ,Imprimerie librairie .L. poulet, 6, France, 1896, p2.

[48] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص32، 33.

هم الذين عكروا دائما الشؤون السياسية التي تدخلوا فيها، فهم لا يحاربون ولكن مصلحتهم هي دائما في رؤية الآخرين ممزقين، إنهم كالذئاب التي تأتي لتأكل ما خلفته الأسود".[49]

وكان اليهود يتميزون بعادات وتقاليد خاصة بهم جعلت المجتمع ينظر إليهم نظرة متميزة نظرا لطبيعة سلوكهم كالألبسة التي كانوا يرتدونها والمتمثلة في جلباب ذو أكمام عريضة وحزام عريض وخناجر كبيرة، وفي الشتاء يرتدون سراويل تضيق عند أدنى الركبة ويضعون دائما غطاء على الرأس ، ويبدوا أن للمرأة اليهودية حرية في الخروج بين العامة.

وكانوا أثناء حكم البايات يخضعون لقائد يعرف بالمقدم يكلف بجمع الضرائب والرسوم والمطالبين بها[50]، ويتميز اليهود بالنشاط ما أدى إلى ارتفاع شأنهم خاصة في أمور البيع والشراء، كما اشتهروا بالسمسرة والقيام بدور الوساطة[51] ورغم اختلاف هذه الفئة عن باقي الفئات من حيث العقيدة والقيم والعادات والتقاليد إلا أنها فئة معترف بها وتتمتع بجميع الحقوق، حتى خصص لهم صالح باي منطقة الشارع والتي تقع بين باب القنطرة وحافة الهاوية فبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم[52].

ج- بعض أعراش بايلك الشرق:

يتضمن بايلك الشرق مجموعة كبيرة من الأعراش والجماعات الموزعة على كل تراب البايلك هذا لأهمية ما يتميز به كل عرش حيث تعتمد هذه الجماعات على الاحترام والوقار في معاملاتهم وهذه بعض أعراش المنطقة الشمالية للبايلك:

1.**بجاية:** بني مسعود، بني ميمون، بني عمروس، آيت وطاس وعلى، بني محمد، بني حسين، بني سغلال، تابابور منصورية بابور، بني فولكاي، بني إسماعيل، بني بو يوسف،

[49] بسام العسلي: **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830، 1838**، دار النفائس، بيروت، 1983، ص129.

[50] عبد الرزاق قشوان: المرجع السابق، ص22.

[51] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص75.

[52] يمينة سعودي: المرجع السابق، ص41.

بني ملول، بني سليمان، بني تيزي، جرمونة، بني مرعة، أولاد صالح، ساحل قبيلة قرقوز، أولاد نايت، عموشة، الدهشمة.

2.**سطيف:** بني مروان، لعواتة، بني فوغال، فرجيوة، أولاد بو صالح، بني قايد، بني أحمد.

3.**جيجل:** بني عمران، بني خطاب، بني عافر، زغاية، أولاد كباب، أولاد بلعفو، بني سيار، بني معمر، بني بدر، أولاد عسكر، زواغة، عزل، بني صالح، جبيبي، بني عائشة، بني أولاد عبدون، بني تليلان، أولاد عطية، بني توفوت، أولاد الحاج، عشايش.

4.**قسنطينة:** بني حميدوش، بني إسحاق الكوفي، بني بونعيم، بني صالح، بني إسحاق، علمه، معسلة، بني بشير، الثعابنة، مجاجة، أولاد نوار، الزرامنة، سكيكدة[53].

رابعا: التنظيم الإداري لبايلك الشرق.

أ-موظفو البايلك:

يخضع بايلك قسنطينة لسلطة الداي في الجزائر ويتولى حكم البايلك الباي ومجموعة من الموظفين وهم[54]:

- **الباي**[55]: وهو أول مسؤول عن المنطقة يعين من قبل السلطة المركزية ويكون عادة من الموظفين الكبار بدار السلطان أو من شغلوا منصب خليفة باي سابق، أو منصب قايد، وقد ذكر الباحثون مسألة اللجوء إلى الرشوة للحصول على هذا المنصب وللبايات سلطتهم المطلقة في أقاليمهم وهم أقل عرضة لخطر الموت مقارنة بالدايات.

---

[53] على خنوف: **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، الميزان للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ص91.

[54] ناصر الدين سعيدوني: ورقات... ص150.

[55] **الباي:** هو منصب في الإدارة العثمانية، ويقصد به الأمير أو ما يساويه في السلطة مع ارتباط سلطة الباي بسلطة الداي عن طريق الولاء المعنوي والمادي عن طريق تقديم الدنوش وتقوم سلطة الباي عن فرق الإنكشارية، ينظر: أحمد سيساوي: المرجع السابق، ص19.

- **مهام الباي:**

- تسيير شؤون البايلك.
- الإشراف على القوات العسكرية والتكفل بدفع أجور موظفي البايلك.
- جمع الضرائب والحرص على توفير موارد لخزينة البايلك وبالتالي يوفر موارد لخزينة الإيالة يجمع الدنوش الكبرى[56].
- السهر على حماية الأمن خصوصا الأمن عبر الطرق السلطانية الرابطة بين البايلك ودار السلطان، ويعتمد الباي على الحامية العسكرية كما يلجأ إلى عقد تحالفات مع شيوخ القبائل وزعماء الطرق[57].
- وقد تولى على بايلك الشرق العديد من البايات خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني حيث كثر الفساد وانحلت الأحكام وانتشر الظلم وكثرت الاغتيالات، وقدر عدد البايات الذين تولوا حكم بايلك الشرق حوالي 45 بايا منهم من اشتهر بالعدل وحسن التسيير وحسن السلوك[58]ومنهم:
- صالح مصطفى باي[59](1771-1791)، حسين بن حسين بوحنك باي[60](1792-1795)، الحاج مصطفى انجليز باي[61](1798-1808)، أحمد طوبال باي (1808-

---

[56] **الدنوش:** هي تقديم الضرائب التقليدية للداي مرة كل ثلاث سنوات، ينظر: صالح فركوس: **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850م**، ديوان المطبوعات الجامعية"، الجزائر، 2007، ص25، 26.

[57] كمال صحراوي: **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013/2012م، ص41،43.

[58] فلة قشاعي: المرجع السابق، ص36.

[59] هو أشهر بايات قسنطينة حكم بايلك الشرق ما يقارب 20 سنة وتحديدا في الفترة الممتدة ما بين (1771-1792) وتتميز فترة حكمه بالتطور والازدهار في جميع المجالات، ينظر: إيمان زيتوني، **صالح باي الأسطورة**، مجلة مقام، العدد1، افريل2015، قسنطينة، ص14.

[60] حسين بن حسين بوحنك: كان متصفا بروح التسامح والعدل فأبقى في مناصبهم كل الموظفين الذين عينهم صالح باي، وأظهر قدرة وكفاءة في التسيير الإداري، ومن مآثره إتمام جسر القنطرة الذي شرع تشييده صالح باي، وبناء قصر دار الباي، ينظر: فلة قشاعي: المرجع السابق، ص36.

1811)، نعمان باي (1811–1814)، إبراهيم باي الكرتلي (1822–1824)، أحمد باي (1826–1837)، ومنهم من عرف بالظلم والاستبداد وقهر الأهالي وسوء التسيير وكانوا سببا في إفلاس خزينة البايلك أمثال مصطفى باي الوزناجي المتعامل مع اليهود (1795–1798)، أحمد شاوش القبائلي (1808–1811) الذي اتلف الثروات وأفلس خزينة البايلك وارتكابه أعمال إجرامية[62]، محمد شاكر باي (1814–1818م)، قارة مصطفى باي (جانفي 1820)، محمد باي الميلي (1818–1819)، إبراهيم باي الغربي (1819–1820) ومحمد منامي باي (1824–1826)، عرف هؤلاء البايات بالظلم والقتل وتبذير الأموال، كما يتميزون بانعدام المسؤولية وقلة الخبرة في تسيير شؤون البايلك هذا نتيجة لجهلهم[63].

وفيما يخص النظام الإداري في بايلك الشرق فانه يتميز بنوعين من النظام، نظام يخص المدينة وهو الذي يعطي للباي حق التصرف[64]، والنظام الثاني هو نظام يخص الأرياف أو البوادي والذي يقوم على أساس النظام القبلي أو العشائري نظرا لطبيعة تقسيم الريف وكانت القبيلة هي الوحدة الإدارية[65].

1.نظام المدينة: يتميز هذا النظام بالسلطة المطلقة للباي في جميع الأمور رغم تبعيته للداي وتقديمه الضرائب الكبرى كل ثلاث سنوات والتي تسمى الدنوش الكبرى، كما يتولى الباي قيادة القوات النظامية وغير النظامية في إقليمه و للباي موظفين تابعين له[66].

---

[61] عرف بلقب انجليز باي لأنه كان أسيرا بإنجلترا مدة 12 عاما يشبه حكمه بحكم صالح باي، انتهج سياسة عالية وحسنة، حيت انخفضت الأسعار وأصبحت المعيشة سهلة في أيامه، ينظر: فلة قشاعي المولودة موساوي، المرجع نفسه، ص36

[62] فلة قشاعي: المرجع نفسه، ص36.

[63] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص32.

[64] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص23.

[65] صالح فركوس: **تاريخ الجزائر من عهد الفنيقين إلى خروج الفرنسيين (814ق م–1962م)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص118.

[66] مؤلف مجهول: المرجع السابق ،ص23.

- **الخليفة:** وهو المسؤول بعد الباي توكل له مهمة الإشراف على مردود الضرائب كما يتولى إخضاع القواد وفرض الطاعة[67]، ويحصل على هذا المنصب في الغالب أحد أقرباء الباي[68]، وتعتبر هذه الوظيفة مؤهلة إلى منصب الباي حيث نجد صالح باي (1771-1792) كان قد تقلد منصب الخليفة قبل أن يتقلد منصب باي، ويخضع لمنصب الخليفة تسع قبائل.[69]

- **قائد الدار:** مهمته الإشراف على البايلك وقد ينوب الباي في تسيير الأمور عندما يكون هذا الأخير غائب عن المدينة، ويقوم بالأعمال المتعلقة بالشرطة والأمن بالإضافة إلى السلطة القضائية[70]، وكان يخضع لأوامر قائد الدار قائد الباب والذي كان يقوم بمرافقة عوائد ومداخيل حقوق الكراء داخل المدينة.

- **الأغا**[71]: أو آغا الدايرة وهو قائد الجيش البري[72].

- وتعود إليه قيادة فرقة الفرسان ويتولى قيادة تسعة وثلاثين قبيلة[73].

- وغالبا ما يخرج مع الباي لمعاقبة القبائل العاصية.

---

[67] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص20.

[68] Abdeljalil Temimi: le beylik de Constantine hadj Ahmed 1830 – 1837,publication de la revue d'histoire maghrébine- vol- 1-1971.p7.

[69] أحمد سيساوي: المرجع السابق، ص32، 33.

[70] احمد سيساوي: المرجع السابق، ص33

[71] الأغا: قبل كان أصل الكلمة تركي من المصدر "أغمق" ومعناه الكبر والتقدم في السن وقيل إنها من الكلمة "أقا" وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وكان يلقب أيضا رؤساء الإنكشارية بالآغا، ينظر: مصطفى بركات: **الألقاب والوظائف العثمانية في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات 1517-1924**، دار غريب، القاهرة، 2000، ص173.

[72] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص66.

[73] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص23

– **الباش كاتب:** هو أمين عام وهو مكلف بالإشراف على سجلات المحاسبات لكل مداخيل البايلك[74]،ومن مهامه أيضا ختم رسائل الداي واستقبال الرسائل الواردة إلى البايلك[75]، حيث كان الباي يوكله بحمل خاتمه (طابعه)، كما كان يسيطر على اثنان وعشرون قبيلة، يتلقى منها حقوق تعيين شيوخها.[76]

– **الباش مكاحلي:** وهو قائد حاملي البنادق يقودهم في المناسبات الرسمية[77]، ويقوم بحمل أسلحة الباي[78].

– **الباش سراج:** وهو كبير السياس يكلف بمهمة الإشراف على الإسطبلات وتجهيز حصان الباي الخاص عندما يعتزم امتطاءه.

– **الباش سيار:** ويسمى أيضا رئيس السعادة[79]، ويتولى حمل الرسائل الخاصة بالباي إلى الباشا بالجزائر العاصمة ويعود برسائل الباشا إليه كما يصاحب الخليفة عندما يأخذ الدنوش إلى الجزائر[80].

– **الباش سايس:** وهو مكلف برعاية الحيوانات وصيانة خيول البايلك[81].

– **باش شاوش:** مهمته تنفيذ الأوامر الموجهة للأتراك ويكون مرفقا بكتيبة الجنود الإنكشاريين وفرقة من فرسان الكراغلة وقوات أخرى من المخزن[82].

---

[74] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص150.

[75] محمد الصالح بن العنتري، المرجع السابق، ص21.

[76] أحمد سيساوي: المرجع السابق، ص33، 34.

[77] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص23.

[78] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص22.

[79] احمد سيساوي: المرجع السابق، ص 34.

[80] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص21.

[81] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص69.

[82] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص21.

– **شاوش الكرسي:** وهما اثنان من أصل تركي مهمتهما الجلد[83]، ويرافقان الباي عند خروجه ويتوسطان بينه وبين المسؤولين الأجانب في اللقاءات السلمية ويقومان بجلد من يأمر الباي جلده.

– أما الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة هم:

– **آغا الصبايحية:** وهو المسؤول عن الصبايحية و الشواش الذين يقومون بدور المساعدين.

– **باش العلم:** وهو الذي يتولى حمل العلم عند خروج الباي.

– **باش الطبل:** وهو رئيس الطبول التي تضرب في حالة السلم أو الحرب.

– **باش الخزناجي:** يقوم بحراسة قوافل المحلة التي تستخلص الضرائب من الناس[84].

أما الموظفون الذين يعملون في قصر الباي هم:

– **قائد المقصورة:** وهو حاجب الباي يحرص على الاعتناء بالمسكن الخاص بالباي.

– **قائد الجبيرة:** ويتكلف بجبيرة الباي وهي عبارة عن محفظة تعلق في مقدمة السرج.

– **قائد السبسي:** ويكلف بغليون الباي.

– **باش قهواجي:** ويتكلف بحمل أدوات إعداد القهوة للباي وضيوفه[85].

2.نظام الأرياف والبوادي (خارج المدينة):

كما نعلم أن السلطة في بايلك الشرق تستند إلى الأعراش والقبائل المخزنية والاعتماد على شيوخ القبائل في إدارة شؤون الأرياف، هذا لأنها قد أثبتت وجودها بقوة عند أي استهداف أجنبي، وشيوخ هذه القبائل يكون تحت تصرفها العديد من القبائل[86]، ويكون هذا الشيخ

[83] احمد سيساوي: المرجع السابق، ص34.

[84] محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص22.

[85] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص150، 151.

[86] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص24.

كالملك حيث يقوم الباي بتعيين مشايخ الصحراء[87]، إضافة إلى هذا هناك فئة المرابطين والتي كانت معفية من دفع الضرائب نظرا لسلطتهم ونفوذهم المادي والروحي[88].

وهؤلاء بعض شيوخ وقادة القبائل في بايلك الشرق:

- شيخ لحنانشة وتحته 12 قبيلة.
- شيخ العرب بالزاب وتحته 11 قبيلة من البدو والرحل.
- قائد الحراكتة أو القائد العواسي الذي يقيم بمدينة قسنطينة لأهميته، وتحته 32 قبيلة تشمل معظم سكان الشاوية.
- قائد لحنانشة.
- قائد الزمول: وهي قبائل عسكرية وتحته حوالي 20 قبيلة.
- قائد الأوراس وتحته 12 قبيلة.
- قائد عامر الشراقة وتحته ست قبائل.
- شيخ الدير أو أولاد يحي بن طالب في جهة تبسة.
- شيخ بلزمة وتحته 13 قبيلة.
- قائد أولاد إبراهيم وتحته 11 قبيلة.
- قائد سكيكدة وتحته 3 قبائل.
- قائد عامر لغرابة وتحته 5 قبائل.
- شيخ فرجيوة وتحته 6 قبائل.
- شيخ الزواغة وتحته 4 قبائل.
- قائد أولاد عبد النور وتحته 31 قبيلة.
- قائد أولاد التلاغمة.
- شيخ قصر الطير بريغة.
- شيخ أولاد مقران بمجانة وتحته 13 قبيلة.

[87] حمدان بن عثمان خوجة: المرجع السابق، ص76

[88] مؤلف مجهول: المرجع السابق، ص24.

– قائد أولاد دراج في الحضنة.

– قائد تبسة.

ب–القوة العسكرية للبايلك:

لقد كان للبايلك قوة عسكرية تتألف من حوالي 45 ألف رجل منهم 22000 من المشاة و23000 من الفرسان الخيالة وينقسمون إلى ثلاث فئات[89].

1. **المليشيا:** وهم جنود (يولداش) يجندون من الأتراك وبعض الكراغلة مهامهم حماية المدنية.

2. **قوات قبائل المخزن:** هي القوات المساعدة للمليشيا وتعد قوات غير نظامية شملت كل القوات المحلية، وقد استعان النظام العثماني بالقبائل المسيطرة مثل الذواوة[90]. والحنانشة وأولاد مقران، وقبائل الزمول التي كانت تكون الفرسان لعسكر البايلك كما اعتمد على غيرها[91]

3. **الزمول و الدواوير:** الزمول كيان خاضع خضوع تام للسلطة المركزية عكس القبيلة التي تقوم على القرابة الدموية، أما الزمالة فهي مجموعات من الأفراد عهد إليهم برعي الماشية الخاصة بالبايلك (ابل، بقر، غنم)، كان مقرهم بالقرب من قسنطينة ولم تكن هناك علاقة بين أفراد هذا المجتمع سوى خدمة الباي، وبعد تطور العلاقات بينهم بالمصاهرة انتهى بها الأمر بتحويل الزمالة إلى قبيلة عسكرية وغالبا ما قدمت هذه القبيلة حوالي 3000 فارس[92]للبايلك،

---

[89] محمد الصالح بن العنتري، المرجع السابق ص 19 ـ 25.

[90] **الذواوة:** هي أهم القبائل في بايلك الشرق الجزائري هم قبائل كثيرة تنتمي إلى" داود بن مرداس بن رياح "تغلبوا على الزاب منذ الحملة الهلالية، وكانت مساكنهم بسكرة و طولقة، ومنهم من يتواجد بمدينة الاغواط، ومنهم:أولاد عساكر بن سلطان، وأولاد مسعود بن سلطان، وأولاد السباع بن يحيى وكانت مشيختهم بأولاد جلال، ينظر: بن بوزيد لخضر: **مقاومة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي**، أعمال الملتقى الوطني المقاومة الوطنية في منطقة الزيبان خلال القرن19، يوم 15،16 جانفي 2017، بسكرة، ص2. (غير منشور)

[91] مؤلف مجهول: المرجع نفسه، ص27.

[92] أحمد سيساوي: المرجع السابق، ص29.

أما جنود الدايرة فهم لفيف من المجندين من القبائل ويشرف عليهم آغا الدايرة وهم رجال حرب ويبلغ عددهم ألف فارس[93].(انظر الملحق رقم06).

نظرا للخصائص التي يتميز بها بايلك الشرق فهو يعتبر من أهم الأقاليم في الجزائر من حيث المساحة والتنوع في المناخ الذي أدى إلى التنوع في الموارد الاقتصادية التي تقدم امتيازات كبيرة مقارنة بالأقاليم الأخرى، هذا ما أدى إلى قيام صراعات حوله بين الحفصيين في تونس والعثمانيين، انتهت هذه الصراعات بدخول البايلك تحت حكم الخلافة العثمانية وكان ذلك خلال القرن 16م.

كما يتميز البايلك أيضا بالتنوع البشري الذي يضم فئات عديدة ومختلفة، ما أنتج خصوصية سكانية متمثلة في الكثافة السكانية العالية والتي تقدر بنصف سكان الجزائر، كذلك يتميز المجتمع في بايلك الشرق بالطابع القبلي كبقية المجتمعات الريفية، وكان النظام الإداري ينقسم إلى نظامين الأول خاص بالمدينة ويكون تحت سيطرة الباي والثاني نظام خاص بالأرياف وتسيطر عليه الأعراش والقبائل المخزنية، وكان للباي موظفون يسهرون على خدمته وخدمة البايلك.

وكان للقوة العسكرية دور مهم في حماية أملاك البايلك وشؤون المجتمع.

[93] عبد الرزاق قشوان: المرجع السابق، ص53.

الفصل الأول

المؤسسات الثقافية في بايلك الشرق

أولا: أوضاع التعليم في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني

ثانيا: المؤسسات الثقافية في بايلك الشرق

ثالثا: الطرق الصوفية وتأثيرها في مجتمع بايلك الشرق

رابعا: الطريقة الرحمانية وتأثيرها في ثقافة مجتمع بايلك الشرق

أولا: أوضاع التعليم في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني

إن السلطة العثمانية في الجزائر قد ركزت اهتمامها في المحافظة على الاستقرار السياسي والحفاظ على امن الحدود وجمع الضرائب، التي كانت تستخدم في المجال العسكري من أجور الجنود والمعدات الحربية، وكذلك في توزيع الهدايا والهبات على السلطان العثماني وموظفي دولته، ولم تكن اهتمامات الدولة تتعلق بثقافة المجتمع وتطوره عدا في بعض أمور الدين كبناء المساجد وكتاتيب لتعليم القرآن ولهذا كانت سياسة السلطة عدم التدخل في شؤون التعليم، باستثناء بعض الجهود الفردية التي قام بها بعض البايات من خلال الاهتمام بالتعليم المرتبط دائما بالجانب الديني، وذلك لتلبية الشعور الديني لا الشعور العلمي إضافة لجلب الشهرة وبالتالي كان التعليم يقوم على جهود الأفراد وليس السلطة.[97]

وهذا ما أدى ببعض المؤرخين الأجانب ينفون وجود العلم والتعليم في الجزائر، كما رأوا أن المجتمع الجزائري لا يهتم بهذا المجال سوى تعلم القرآن الكريم، في حين نجد أن البعض يؤكد الانتشار الكبير للتعليم خاصة في ما يخص المرحلة الابتدائية، حيث يقوم الآباء بالحرص على تعلم أولادهم وحفظهم القرآن في هذه المرحلة وقد أكد البعض منهم أن لكل القبائل مدارس بمعلميها وهذا قبل الاحتلال الفرنسي.[98]

وما يؤكد لنا أيضا أن التعليم قد انتشر بصورة واضحة في المدن أكثر من القرى والأرياف هو ظهور مدن وحواضر إشعاعية للعلم، كحاضرة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق حيث أصبحت مركز من مراكز الإشعاع العلمي والثقافي وهذا ما نجده في كتاب التحفة المرضية لمحمد بن ميمون الجزائري" أن قسنطينة كانت على عهد الأتراك ... عاصمة دينية وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير

[97] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ص313،314

[98] جهيدة بوعزيز: المرجع السابق، ص23

من الطلبة يغترفون من خمسة وعشرون مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية ...إن قسنطينة كانت ـ حقا ـ مبعث نور الجزائر كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم ".[99]

أما في الكتابات العربية التي اهتمت بوصف العلم وأهله في أرياف بايلك الشرق، نجد ابن حمدوش في رحلته يرى أن أهل البوادي متواضعون في العلم مقارنة بأهل الحواضر حيث أن طلبة الحواضر أكثرهم اهتماما بالعلم والتعلم والبحث و أوجدهم مواد[100]، في حين نجد أن العياشي يخالفه الرأي في اعتقاده أن أهل البوادي أحسن علما وأشاد بأهل الخنقة الذين وصفهم بأنهم أهل خبرة وبركة ولهم رغبة في العلم وتعلمه، كما أشاد أيضا بشهرة أهل الصحراء بالزوايا واشتهارها بالنفوذ حتى تحول بعضها إلى مدن مثل طولقة.[101]

وقد تميز التعليم في بايلك الشرق بنوع من الاهتمام الخاص من طرف العديد من الشخصيات والعائلات الكبيرة خاصة بمدينة قسنطينة، حيث أنها تعرف إقبالا كبيرا لطلاب العلم من المناطق المجاورة وهذا مايؤدي إلى الفراغ الفكري في بعض المناطق مثل جيجل،حيث يهجر الرجال الطامحون في المجالات الأوسع [102]هذا لتوفر الزوايا الخاصة بتعليم الطلبة وتلقينهم دروس في مختلف العلوم وهذا بفضل علمائها وشيوخها الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم .

وقد لعب العديد من الحكام في بايلك الشرق دورا مهما في التعليم خاصة في الفترة الأخيرة والتي نحن بصدد دراستها، نذكر من هذه الشخصيات المشهورة صالح باي(1771 ـ

---

[99]- محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2، ص52.

[100]-عبد الرزاق ابن حمدوش: **رحلة ابن حمدوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1983، ص149.

[101]عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية 1661 ـ 1663م، المجلد الثاني**، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص538.

[102] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص48

1792)، الذي أعطى اهتماما كبيرا للتعليم والعلماء ورجال الدين كما عمل أيضا على بناء مؤسسات ثقافية وعلمية كالمساجد والمدارس وخصص لها أنظمة يتقيد بها المدرسون والطلبة ويخضع لها العاملون، كما خصص لهذه المؤسسات التعليمية أوقاف لتسيير شؤونها المادية،[103] وقد قيل عن صالح باي انه محبا للعلماء والصالحين.[104]

وكان التعليم في تلك الفترة يعتمد على حفظ القرآن الكريم في مرحلة التعليم الابتدائي، ومعرفة بعض علوم القرآن في مرحلة التعليم الثانوي والعالي أيضا،[105] حيث كان الطلبة في المرحلة الأخيرة من التعليم يتجهون إلى المساجد الكبيرة والجامعات العربية مثل الأزهر والزيتونة ولا يدخلها إلا المتفوقون،[106]وكانت كل العلوم التي تدرس الغرض منها ديني بالدرجة الأولى لتعليم بعض العلوم العملية كالحساب لمعرفة الفرائض وقسمة التركات بين الورثة.[107]

وكان التعليم في قسنطينة يوزع على فصلين، فصل الشتاء وفصل الربيع كما كانت قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي تزخر بالمكتبات العلمية الكبيرة التي تحتوي على المخطوطات القيمة والمجلدات والكتب المتنوعة، وكانت بعض المكتبات خاصة بالعائلات الكبيرة تشتهر بغناها بالكتب الخاصة بالجزائر وكتب متعلقة بالبلاد الإسلامية.[108]

وتذكر بعض التقارير الفرنسية أن مدينة قسنطينة كانت تتميز بالثقافة والعلم،حيث تم إحصاء أكثر من سبع معاهد يدرس بها حوالي 700 طالب العلوم النقلية والدينية والشرعية والعلوم العقلية من رياضيات وعلم الفلك والبلاغة والفلسفة، وتحتوي قسنطينة على حوالي

---

[103]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص315.

[104] احمد الشريف الزهار: المرجع السابق،ص65

[105] أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، ص315.

[106] علي خنوف: **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**، مكتبة طريق العلم،الجزائر،2007، ص86.

[107] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص315.

[108] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص54.

90 مدرسة ابتدائية يزاول بها ما يزيد عن 1400 متعلم، إضافة إلى 16 زاوية و70 مسجدا للتدريس والتحصيل والعبادة دون أن ننسى العديد من المكتبات، هذه الإحصائيات سجلت قبل الاحتلال الفرنسي وهذا ما يؤكد أن الأمية في مدينة قسنطينة خاصة وبايلك الشرق عامة تكاد تكون منعدمة بين السكان،[109]وهذا ما أكدته مقولة أحد القادة الفرنسيين سنة 1250هـ/1834م بقوله:" أن العرب كانوا يتقنون كلهم القراءة والكتابة، وفي كل قرية توجد مدرستان...".[110]

ومما تقدم نخلص إلى أن التعليم في بايلك الشرق كان موجودا، لكن لم يحظى باهتمام كبير من طرف السلطة مما أثر سلبا على المستوى التعليمي، حيث أخذ اهتمام الوالدين وبعض المؤسسات الدينية وتمويله كان من طرف الأوقاف، دون أن ننسى العناية التي أولاها بعض البايات لدعم التعليم والثقافة في بايلك الشرق رغم أهميتها فإنها جاءت في وقت متأخر حيث أنها لا تسمح بالقيام بنهضة علمية وثقافية.

ثانيا: المؤسسات الثقافية في بايلك الشرق

أ: الزوايا

1 تعريف الزاوية لغة: مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة،[111] وكلمة الزاوية يعني تيكي (Tikie) بالتركية، خون(khaounak) بالمصرية، خالتيرخان (khalteuterkhan) في آسيا وخانق(khanak) في الهند[112]، وزوى الشيء أو

---

[109] عبد العزيز فيلالي: **مقاومة الحاج أحمد باي والقسنطينيين ضد الاحتلال الفرنسي**، مجلة بوليكرومي، العدد1،قسنطينة، الندوات العلمية لسنة 2012، ص71.

[110] أرزقي شويتام:المرجع السابق، ص31.

[111] صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها**، دار البراق، بيروت، 2002،ص301.

[112] كمال خليل: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور(1850 - 1951)**، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2008/2007، ص20.

زواه بمعنى قبضه معه مما يفيد التركيز والتمكين من الشيء، وأيضا زوى الشيء أي نحاه وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا .[113]

وأخذت الزاوية في شمال إفريقيا معنى يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب على قبة وغرفة للصلاة وضريح لولي صالح وغرف لتحفيظ القرآن واستقبال الزائرين.[114]

وهناك الكثير ممن يربطون مفهوم الزاوية بالرباط وكان أصل الزوايا هو هذه الرباطات على اعتبار أن كلمة الرباطات مشتقة من رباط الخيل والتي وردت في الآية الكريمة "وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وانتم لا تظلمون" سورة الأنفال، الآية 61.[115]

كذلك أطلقت كلمة زاوية على حلقة التدريس بالمساجد[116]،ومن ذلك مثلا ما رواه المقريزي"من أنه كان بمسجد عمرو العتيق زاوية يدرس فيها الفقه منها زاوية الإمام الشافعي".[117]

ومن خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن التنوع اللغوي الكبير لمعنى الزاوية مما قد يوصلنا إلى معاني كبيرة كالبعد، الانعزال، الانطواء، الاعتكاف والتضامن.[118]

---

[113] العماري الطيب: **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد15، جوان 2014، جامعة بسكرة، ص127

[114] كمال خليل: المرجع السابق، ص20.

[115] باشيخ أسماء وبن خالد عبد الكريم: **دور الزاوية في تنميط الفعل الاجتماعي في صحراء توات**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،عدد خاص،الملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية- تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضارية، جامعة أدرار، ص96.

[116] طويل العيدي: **مؤسسة الزاوية الجوانب الحقيقية للمقاومة والصمود**، مجلة بوليكرومي، العدد1،الندوات العلمية لسنة 2012، ص99.

[117] العماري الطيب: المرجع السابق،ص128 .

2اصطلاحا: هي مأوى المتصوفين والفقراء والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر[119]، اتخذت للعبادة والاعتكاف والتعبد فهي نوع من الأبنية ذات الطابع الدين تشبه الدير أو المدرسة، تحتوي عادة على مصلى وغرفة لتلاوة القرآن الكريم ومدرسة لتحفيظه وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم مراقد لإيواء الطلبة والضيوف والحجاج والمسافرين ويلحق بها ضريح الولي ويكون غالبا مؤسسها أو أحد المرابطين.[120]

ويذهب أبو القاسم سعد الله في تعريفه للزاوية بقوله:"أن الزاوية عبارة على مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونواد اجتماعية وخلايا سياسية يتعلم فيها الناس مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم والمعارف ويقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية والسياسية".[121]

وفي مجمل القول يمكن أن نقول أن الزاوية هي عبارة على مسجد صغير بدون مئذنة ولا منبر تضم ميضأة، كما تضم في بعض الأحيان مدافن الأسرة حيث نجد الحسن الوزان قد دفن في زاوية صهره ابن افوناس، وهذا جد الفكون مدفون بزاوية الفكون.[122]كما تقام فيها الصلوات الخمسة عدا صلاة العيدين وصلاة الجمعة ولها شيخ وخدم وموظفون لرعاية المقيمين وبالتالي هي عبارة على مكان للتعبد ومدرسة دينية.[123]

---

[118] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق،ص302.

[119] العماري الطيب: المرجع السابق،ص128.

[120] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص263.

[121] طويل العيدي: المرجع السابق، ص99.

[122] أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي،1406 ـ 1986، بيروت، ص36

[123] العماري الطيب: المرجع السابق، ص128

3 وظيفة الزاوية

تعتبر الزاوية المؤسسة الثقافية التعليمية والوسيلة التي من خلالها يمارس الفرد حياته الدينية والاجتماعية والتربوية، وللزاوية عدة وظائف تؤديها اتجاه المجتمع عموما والأفراد القادمين إليها خصوصا ومن بين هذه الوظائف:

- ❖ الوظيفة الدينية: تؤدي الزوايا دورا دينيا وهي الوظيفة المحورية في حياة الأفراد حيث كانت الزوايا أماكن روحانية إسلامية سامية يتلقى من خلالها الفرد مختلف الأمور المتعلقة بالدين وتعمل على الحرص الدائم على سمو الأخلاق وبطبيعة الحال نجد أن كل الزوايا انطلقت على أساس الفكرة الدينية.
- ❖ الوظيفة التربوية والتعليمية: بما أن الزاوية لديها وظيفة دينية تتمثل في تلقين أمور الدين فإنها بالتالي تؤدي وظيفة تعليمية، فهي مؤسسة تربوية تعليمية بالدرجة الأولى وذلك في هياكلها التي تتكون منها، إضافة إلى الموارد البشرية المتمثلة في طلاب العلم وشيوخ التدريس، ومن اهتمامات الزاوية في العملية التعليمية التربية الدينية والتوجه القرآني، وذلك بهدف تعديل السلوك وتهذيب النفوس بالقيم القرآنية كما ترتبط الزاوية بالتربية المدنية فالطالب يخضع من خلال إقامته إلى قوانين وأنظمة يجب العمل بها.[124]
- ❖ وظيفة الإيواء والإطعام: وهذه الوظيفة مرتبطة بوظيفة التعليم والتدريس حيث كان من الضروري توفير الشروط اللازمة للمتعلم من مسكن ومأكل ومشرب، خاصة القادمين من خارج المنطقة وهذا من خلال الاحباس الخاصة بالزاوية والتي تنفقها في سبيل العلم والطلبة.[125]

---

[124] باشيخ أسماء وبن خالد عبد الكريم: المرجع السابق، ص97.

[125] العماري الطيب: المرجع السابق، ص131.

وتقسم الزوايا إلى قسمين كل قسم يقوم بدوره، القسم الأول يختص بتحفيظ القرآن الكريم ويتردد عليه غالبا الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية وحفظوا بعض السور من آيات الذكر الحكيم، أما القسم الثاني فيتخصص بتدريس بعض العلوم كالفقه والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق وبعض المبادئ في علم الفلك ويتردد على هذا القسم الطلاب الحفظة للقرآن الكريم.[126]

وقد عرفت الزوايا في بايلك الشرق شأنا كبيرا لدى السكان حيث بلغت حسب بعض الإحصائيات إلى حوالي(16) زاوية، في حين هناك من يقول أنها كانت في عهد صالح باي(13)[127] ، فكثرة الزوايا يفسر الدور الايجابي الذي كانت تلعبه في نشر التعليم بجميع مستوياته، ولهذا كان لها شأن خاص لدى الأهالي خاصة ضد الأعداء وذلك بقيادة التباع في الحروب الجهادية ومن أجل الدين وحماية البلاد، ومن أشهر الزوايا في قسنطينة نذكر زاوية سيدي الكتاني، زاوية سيدي لمناطقي، زاوية سيدي عبد المومن[128]، سيدي مسيد، سيدي مخلوف، سيدي ميمون، سيدي عفان، سيدي راشد، سيدي التلمساني.[129](انظر الملحق رقم03).

كما نجد أيضا زوايا للعائلات الكبيرة مثل زاوية اولاد الفكون، زاوية ابن نعمون، زاوية أولاد جلول وهناك أيضا زوايا خاصة بالأتراك والكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة الذي كان

---

[126] محمد بن ميمون الجزائري:المرجع السابق،ص59.

[127] ناصر الدين سعيدوني: دراسات...، ص66.

[128] زاوية سيدي عبد المومن: تقع هذه الزاوية في باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية بالمدينة وتنسب إلى سيدي عبد المومن الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام منذ العهد الحفصي، ينظر:أعراب فهيمة: **التراث والسياحة(من خلال مدينة قسنطينة) دراسة تاريخية أثرية**، مذكرة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة قسنطينة، 2011/2010، ص174.

[129] زاوية سيدي التلمساني: تنسب إلى علي التلمساني الذي توفي سنة 946هـ وقد بنيت له زاوية ومسجد وكان يعتبر قطبا ربانيا، ينظر: أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق، ص265.

قائد الدار، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي[130] وزاوية بني بومسعود وزاوية مقران وزاوية محمد بن يحيى المتوفي حوالي سنة1091 الواقعة عند أولاد عبد النور،[131]وزاوية مولاي الشقفة بين جيجل والقل.[132]

ب المساجد

تعتبر المساجد أهم المؤسسات الدينية والثقافية في العهد العثماني وذلك لما لها من وظائف أساسية،[133]ويختلط على البعض اسم المسجد والجامع والزاوية وذلك لان بعض المساجد والجوامع تابعة لزوايا معينة كما أن بعض الزوايا كان تابعا لجوامع ومساجد معين والاختلاف هنا ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة والدور الذي يقوم به كل من المسجد والزاوية فالمساجد كانت للعبادة والتعليم وكذلك الزوايا، ولكن هذه الأخيرة في الغالب ما تكون ملجأ ومسكنا لطلبة العلم والعزباء ومركز استقبال المريدين.

كذلك يكمن الاختلاف في التسمية فالجوامع والمساجد لا تنسب إلى الأولياء والصلحاء بل تنسب إلى مؤسسيها بينما الزوايا تنسب إلى ولي من الأولياء والمشايخ،[134] ويعتبر التعليم من الوظائف الأساسية للمسجد حيث يعد من المؤسسات التعليمية ذات الأهمية الكبرى فهو

---

[130] زاوية خنقة سيدي ناجي: تعود هذه الزاوية إلى احمد بن محمد الحافظي الذي كان ينتقل بين الأوراس والزاب لنشر العلم، واستقر بالزاب الشرقي في منطقة زريبة الوادي ثم اصطحب إلى الخنقة لتدريس الرياضيات والفلك والعلوم لغزارة علمه شيد وهناك شيد زاوية عرفت شهرة واسعة يأتيها العلماء من جميع الأقطار ومن أشهر طلبتها الشيخ الهاشمي بن علي دردور والشيخ الصادق بن رمضان، ينظر: بن بوزيد لخضر: المرجع السابق ، ص10،9.

[131] أولاد عبد النور: هي واحدة من اكبر القبائل مساحة بمقاطعة قسنطينة وتقع بمنطقة التل والمعروفة بمنطقة الهضاب العليا إذ تحتل جانب من السهول التي تمتد بين قسنطينة وسطيف وعين الكبش، ينظر: عبد الرزاق قشوان: المرجع السابق،ص13

[132] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص53.

[133] كمال خليل: المرجع السابق، ص3

[134] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...،ج1، ص245.

المركز الأساسي للذين تجاوزوا مرحلة الكتاب الذي هو عبارة على حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد تخصص لتعليم القرآن والقراءة والكتابة.[135]

كما كان المسجد يشغل وظائف أخرى حيث كان مكانا للاجتماع والنظر في المسائل العامة والخاصة كما كان عبارة عن جامعة ومعهد تعقد فيه حلقات الدرس للطلبة بالإضافة إلى عقد الصفقات التجارية وغيرها من الأمور الدينية والدنيوية[136]، بغض النظر عن وظيفته في أداء الصلوات والعبادة حيث ذكر محمد بن عبد الكريم في تقديم كتاب التحفة المرضية أن المساجد قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطات لفنون العلم التي كانت تدرس لذلك العهد لاسيما في القرى والمدن والقرى والمدن حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها من العلوم.[137]

والشيء المميز والمرتبط بهذه المؤسسة الثقافية هو أن المسجد والمدرسة متلازمان وان المسجد هو الذي يتحكم بشكل كبير في الحركة السياسية والفكرية، فقد كان التعليم من خلال المساجد موجها بالدرجة الأولى لحماية الدين وان تعلم الكتابة معناه إعادة كتابة حروف الكتاب المقدس وان القرآن هو قاعدة التعليم الابتدائي والنص المقرر في الدروس بالنسبة للتعليم الثانوي وهدف الدراسات العليا.[138]

ومن لواحق المسجد نجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن والزوايا لمبيت الطلبة والغرباء والعيون والميضأة للطهارة والاستحمام، وكان موظفوا المساجد هم: الإمام الوكيل، الخطيب، المدرسين المؤذن، الحزاب، بعض القراء وكان لهم مرتب خاص من الوقف.[139]

---

[135] رشيدة برادة: **الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق في المغرب**، مجلة الجامعة المغاربية، العدد1، 2007، ص105.

[136] أعراب فهيمة: المرجع السابق، ص168.

[137] محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص59.

[138] كمال خليل: المرجع السابق، ص4

[139] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...،ج1، ص257.

وقد لقي المسجد كمؤسسة دينية ثقافية اهتماما كبيرا من قبل المجتمع الجزائري وهذا لطبيعة الفكر الديني الطاغي على معظم المهتمين بهذا المجال ، وقد عرفت قسنطينة كعاصمة لبايلك الشرق تطورا في الميدان الفكري الذي ساهم فيه كل من الأهالي والأتراك على حد سواء وخاصة في ما يتعلق بالمؤسسات الثقافية والتي من بينها المساجد.[140]

فلا نكاد نجد قرية في المدينة بدون مسجد فقد كان المسجد ملتقى العبادة ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية والرابط بين أهل القرية والمدينة أو الحي حيث أنهم كانوا يشتركون في بناءه وكانوا يشيدون حوله المساكن والأسواق والكتاتيب، ولم تكن السلطات الحاكمة مسؤولة عن بناء المساجد وحتى وان حصل إن قام أحد الشخصيات السياسية ببناء مسجدا فهذا ليس تعبيرا عن واجبه السياسي وإنما عن إحسانه وواجبه الديني .

وهناك إحصائيات مختلفة حول عدد المساجد في بايلك الشرق والملاحظ إن معظم المراجع تذكر إحصاءات متعلقة بمدينة قسنطينة فقط كما تقتصر على ذكر المساجد الكبيرة،[141]وحسب الإحصائيات فقد بلغ عدد المساجد بها حوالي (5) مساجد كبرى و(70)مسجدا صغيرا منتشرة عبر أحياء المدينة.[142]

بالإضافة إلى سبع مساجد خارج المدينة إلا إن هناك من يورد إن مدينة قسنطينة وحدها كانت تحتوي على حوالي مائة مسجد حسب بعض الباحثين،[143] ويحتوي كل مسجد على مقاعد مخصصة لحفظ القرآن الكريم وشيخا لنظارة الأوقاف، وحسب إحصائيات أخرى جاء أن مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي كانت تضم خمسة وثلاثين جامعا،[144]أما

---

[140] بورايو عبد الحفيظ: **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، مذكرة ماجستير في الآداب، جامعة قسنطينة، 2008/2007،ص120.

[141] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...،ج1، ص246 ـ 248.

[142] بورايو عبد الحفيظ: المرجع السابق،ص120

[143] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 ـ 1954**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ص80.

[144] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1،ص 248.

الورثلاني فقد ذكر في رحلته انه يوجد فيها حوالي خمسة جوامع خطبة وأن بعضها كان متقن البناء[145]

والى جانب المساجد الجامعة كانت قسنطينة تضم حوالي 84 مسجدا خاصا بالصلوات الخمس وهذا العدد يعكس مدى ارتباط سكان المدينة بتعاليم الدين الإسلامي وحبهم لبناء المساجد استجابة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.[146]

وبما أن إقليم قسنطينة كان شاسع المساحة فقد اشتمل على عدد آخر من المساجد ومن ذلك عنابة والتي كان بها سبعة وثلاثون مسجدا[147]، أما في ما يخص التعليم الثانوي فكانت قسنطينة تشتمل على اثنين والربعين مسجدا للتعليم الثانوي يدرس فيها مابين ست وسبعمائة تلميذ[148]، ومن المساجد المشهورة نذكر:

الجامع الكبير:

وهو الجامع الذي يقع ببطحاء السويقة(انظر الملحق رقم01)، ويعد من أقدم المساجد بالمدينة وكما ذكر أبو القاسم سعد الله أن هذا المسجد كان في خدمة آل الفكون لمدة قرون وكان مقر لشيخ الإسلام في العهد العثماني، وقد وصف على انه يشكل في الحي شبه جزيرة وقد كتب على محرابه:" بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم هذا عمل محمد بن بوعلي الثعالبي سنة ثلاثين وخمسمائة".[149]

---

[145] الحسين بن محمد الورثلاني: **الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**،المجلد الثاني، تحقيق ابن أبي الشنب، الجزائر،1908، ص685.

[146] عبد القادر دحدوح: **تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية**، دار المعرفة ، الجزائر، 2015، ص428.

[147] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص248.

[148] صالح فركوس: **الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص171. [148]

[149] أعراب فهيمة : المرجع السابق، ص169.

كما توجد كتابة أخرى تعلو النافذة تقع في الجدار الشرقي هذا نصها:"بسم الله الرحمان الرحيم عمل مناد (كلمات غير مقروءة) سنة خمسة وخمسين وأربعمائة "[150]،ومن شيوخ هذا المسجد في العهد الفرنسي حمدان الونيسي ومحمد الصالح بن مهنة والمولود بن الموهوب،[151]وقد تعرض هذا المسجد للهدم الذي أحدثته السلطات الفرنسية لأحد أطرافه ذلك لتوسيع الشارع الأوروبي، ويعتبر هذا المسجد من أهم المنشآت الدينية في قسنطينة.

الجامع الأخضر:

أو جامع سيدي الأخضر ويقع في رحبة الصوف وهو بذلك يقع في وسك المدينة ويعود إلى العهد العثماني وقد شيده الباي حسين بن حسين الملقب بـ"بوحنك" (1736 - 1754) وذلك عام 1743م، وقد سمي بالجامع الأخضر بناءا على لونه الأخضر كما سمي أيضا بالجامع الأعظم ويتميز بخصائص معمارية قيمة،[152] وقد ألحقت بهذا الجامع مدرسة فيما بعد سميت بمدرسة الجامع الأخضر.

مسجد سوق الغزل:

وهو من أجمل مساجد مدينة قسنطينة وأوسعها، يقع في وسطها[153]وقد نسب هذا المسجد إلى حسن باي الذي حكم قسنطينة بين 1713 و1736وبنى المسجد في 1134هـ/1721م ويحتوي على بيت للصلاة شكلها مستطيل يحتوي على سبع بلاطات متقاطعة تغطيها قباب وأقبية،[154] ومنبر المسجد مصنوع من الخشب المزخرف. وبعد إن

[150] عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص538.

[151] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...،ج5، ص82.

[152] أعراب فهيمة: المرجع السابق، ص170.

[153] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج5، ص83.

[154] عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص522.

استولى الفرنسيون على المدينة تم الاستيلاء على المسجد وتحويله إلى كنيسة سنة 1838.[155]

إضافة إلى العديد من المساجد الأخرى كجامع عبد الرحمان المناطقي وجامع القصبة، وجامع رحبة الصوف، مسجد سيدي محمد بو عبد الله الشريف، مسجد أبي عبد الله الصفار، مسجد سيدي أبي مروان بعنابة، المسجد الكبير ببجاية، ومسجد الخنقة الذي كان مع المدرسة والزاوية مقصد للعلماء ومسجد آخر في القل بناه احمد القلي(1756 ـ 1771)باي قسنطينة ومسجد توقرت الذي بناه إبراهيم بن احمد بن جلاب سنة 1220هـ.[156](انظر الملحق رقم:02).

وقد عرفت مدينة قسنطينة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني اهتماما كبيرا من طرف الحكام فيما يخص العمران وتشييد المساجد وهذا ما نجده في عهد صالح باي حيث اهتم بالمنشآت الثقافية وتأسيسه للمساجد والمدارس وتشجيعه للحركة العلمية والتربوية ومحاربة البدع والخرافات، وكانت حماية المساجد والزوايا إحدى أوامره التنظيمية حرصا على استمرار خدمات المؤسسات الدينية والاجتماعية.[157]

ومن أشهر ما أسسه مسجد سيدي علي بن مخلوف الكتاني الذي يقع بجوار سوق العصر،[158] وهو يرجع إلى سنة 1190هـ/1776م حسب ما يظهر في الكتابة التأسيسية ويتميز بالفخامة والروعة في زخارفه وهندسته كما وصفه أحد الأوروبيين وكان من مساجد المذهب الحنفي، وكانت تتبعه مدرسة سميت بالمدرسة الكتانية.[159]

---

[155] أعراب فهيمة: المرجع السابق، ص171.

[156] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص248، 249.

[157] فاطمة الزهراء قشي: **نوازل الفكون وسجلات العدول**، من التراث القسنطيني المخطوط، معرض في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، ص49،48.

[158] بومهلة تواتي، **قسنطينة حصن إفريقيا**، دار المعرفة، الجزائر،2009، ص90.

[159] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج5، ص82

كما شيد صالح باي مسجدا آخر بمدينة عنابة يعرف بالجامع الجديد وكان ذلك سنة 1206هـ/1791م، والذي نقشت عليه هذه الأبيات تؤرخه وتذكر مبانيه:

لعمرك بيت الله للسير جامع مشيد أركان به النور ساطع

بدت دونه زهر الكواكب رفعة به بونة للسعد منها مطالع

به جاد تاج الدين والمجد صالح إلى درج العلياء راق وطالع

أمير البرايا زاد ظفرا ونصرة مؤيد دين الحق للشرع تابع

فمذ أسس الرفيع على الهدى أأرخه للخير برك جامع[160]

ج المدارس

لقد أدى الاهتمام بالعلم ونشر المعرفة إلى الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والثقافية وقد قامت هذه المؤسسات بدور مهم في المجالات العلمية والدينية والاجتماعية والسياسية حيث كان المسجد والزاوية أساس هذه المراكز وظل التعليم قائما دون تخطيط أو تنظيم رسمي الى غاية القرن 12م، حيث انتشر نظام إنشاء المدارس لتعليم التلاميذ حسب نظام خاص بها.

ويمكن تعريف المدرسة على أنها بناية كانت تحبس لمزاولة التعليم وإيواء الطلبة الذين كانوا يفدون عليها قصد التعليم من مختلف أنحاء البلاد،[161]إضافة إلى أنها تتميز عن الكتاتيب والجوامع بتوفر العديد من المرافق فهي تضم مسجد للصلاة ومنارة ومنبر كونها أداة للتعليم صارت أيضا مكانا للعبادة، إضافة إلى المكان الذي يتم فيه الدرس.

وهنا يمكن أن نلاحظ أن هناك تشابه بين المدرسة والزاوية إلا أنها تختلف عنها كونها تعتمد على نظام وتخطيط خاص وتظم المدرسة مجموعة من الموظفين منهم المدرسون وهم مختصون في مختلف العلوم يتناوبون التدريس في الصباح والمساء كما لكل فرع من العلوم رئيس خاص من أساتذته ومشرف يشرف على الأمور العلمية والإدارية ويتم

[160] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ....، ج1، ص249.

[161] رشيدة برادة: المرجع السابق، ص119.

تعيينه من قبل الحاكم ومؤسس المدرسة كما يوجد بها ناظر يساعده كذلك مشرف المكتبة والعديد من العمال الآخرين كالحراس والبوابين والمنظفين.[162]

ومن العلوم التي تلقن للطلبة في المدارس منها العلوم الدينية والتي تقوم على تحفيظ القرآن وتفسيره وشرح الحديث والفقه والتوحيد والمنطق والأصول إضافة إلى علوم اللغة والأدب مثل النحو والصرف، البلاغة والعروض والقوافي وقواعد الإنشاء وهي الوسائل الكفيلة للمتعلم بالتحصيل والمرتبطة بالعلوم الدينية أما العلوم الطبيعية والتجريبية مثل الفلك والحساب والطب والصيدلة العشبية.[163]

إن الاهتمام بهذه المؤسسات في الجزائر خلال العهد العثماني كان من طرف الخواص حيث أن الحكومة التركية أهملت ذلك وهذا ما أشار إليه الرحالة الورثلاني عند وصفه لمدينة قسنطينة بقوله:" وأما المدارس فتظهر أنها كانت من اهتمام الخاصة نظرا لحرص باياتها على العناية بالقلاع والحصون"، ومع ذلك فهي" لا تخلو من العلم غير أن تدريسه فيها إنما يكون في بعض الأوقات كالشتاء وأول الربيع، وأما سائر الأوقات فلا ليس فيها العلم الغزير ولا انعدامه رأسا، فليس يفقد دفعة واحدة ولا يستمر كلية فولاتها لم يشتغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف و الاحباس لما علمت أنها ضيقة وملكها ليس كملك تونس".هذا ما يؤكد أن بعض الحكام قصروا بشكل كبير في الاهتمام ببعض المؤسسات العلمية هذا ما أدى إلى ضياع الكثير منها بسبب غفلتهم عنها.[164]

ومن جهة أخرى نجد الكثير من المؤرخين يؤكدون تواجد المدارس وبكثرة في جميع المدن الجزائرية حيث لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف

[162] أعراب فهيمة: المرجع السابق، ص175.

[163] كمال خليل: المرجع السابق، ص13.

[164] الحسين بن محمد الورثلاني: المرجع السابق، ص686.

بل كانت منتشرة في كل مكان وهذا واضح من خلال انتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان في أواخر العهد العثماني.[165]

وقد كان لإقليم بايلك الشرق بصفة خاصة نصيب من هذه المؤسسات حيث قدرت الإحصائيات أن عدد المدارس الابتدائية في قسنطينة عند دخول الفرنسيين حوالي (90) مدرسة.(انظر الملحق رقم 08) يتردد عليها حوالي 1350 طفلا ولم يبقى منهم سوى 60 شابا يتابعون تعليمهم الثانوي، وهذا ما جعل بعض الباحثين يحكمون بأنه يدل على أن كل طفل ذكر بين السادسة والعاشرة كان له مكان في المدرسة.

أما التعليم الثانوي والعالي فقد وجد له الفرنسيون في قسنطينة (7) مدارس تتسع لعدد التلاميذ يتراوح بين 600 و700 يتلقون فيها تعليما فوق التعليم الثانوي، بالإضافة إلى دروس أخرى كان يلقيها أشخاص ذوي سمعة واسعة يحضرها جمع غفير من الطلاب والمستمعين.

وقد كانت قسنطينة من أكثر المدن عناية بالمؤسسات التعليمية وذلك لاستقرارها السياسي نسبيا ولقرابتها من تونس،[166] ورغم انتقاد الورثلاني لتدهور أحوال المدارس بتدهور الأوقاف كما ذكرنا سابقا إلا أن هناك من أولى اهتماما بهذا المجال والذي سجل فيه صالح باي أعمالا إصلاحية ارتبطت باسمه وتميز بها عهده، وهذا المجال متعلق بالإصلاحات الاجتماعية والخدمات الثقافية التي عادت بالخير على الوسط القسنطيني آنذاك، حيث قام بإنشاء المدارس منها:[167]

المدرسة الكتانية: أو مدرسة سيدي الكتاني (1189هـ/1775م)، تقع هذه المدرسة بجوار جامع سيدي الكتاني وملاصقة له من الناحية الشرقية،[168] بحي سوق العصر الذي

---

[165] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...،ج1، ص275.

[166] سعودي يمينة، المرجع السابق، ص53.

[167] ناصر الدين سعيدوني: ورقات ...، ص295.

[168] عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص580.

هو من أشهر أحياء المدينة. تضم المدرسة بيوت لسكنى الطلبة ومسجد صغير للصلاة وإلقاء الدروس الدينية وقراءة القرآن.

كما شيد مدرسة أخرى ملحقة بالجامع الأخضر سنة 1193هـ/1779م وجعل لها نظاما محكما واشترط على الطالب الراغب في الالتحاق بها أن يكون حافظا للقرآن الكريم، إضافة إلى مدارس أخرى في عنابة والقل وجيجل وكان يلحق بالمدرسة جامعا وكتابا ودار كتب.[169]

كل هذا يظهر لنا مدى اهتمام صالح باي وعنايته بالمؤسسات العلمية والثقافية وعمل على دعمها وذلك من خلال اهتمامه بالتنظيم الإداري لهذه المؤسسات فترك لنا سجلات الأوقاف الخاصة بها، وحتى تؤدي هذه المدارس دورها الثقافي استحدث صالح باي نظاما دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة، كما استحدث في كل مدرسة قاعة للصلاة وميضأة وخمس غرف إحداها مخصصة للمدرسين والأربع الأخرى يقيم بها الطلبة، كما سن للطلبة في حالة الغيابات أو عدم التقدم في الدراسة أو في حالة إظهار سلوك منافي للآداب وقد أثارت هذه التنظيمات التربوية إعجاب بعض الكتاب الأوروبيين حيث عبر عليها احدهم بقوله أنها تنم على روح متفتحة وعقل واع فهي لا تقل في شيء عما كان جاري به بمدارس فرنسا آنذاك.[170]

د المكتبات

إن أي نشاط ثقافي يظهر من خلال وجود الكتب والمكتبات وأي بلد يتميز بالثقافة، هذا بفضل ما يزخر به من مكتبات وكتب فالمكتبات هي نتاج نشاط علمي وثقافي، وإذا أخذنا هذا المقياس فنجد أن الجزائر خلال العهد العثماني تعدمن البلدان التي تتوفر على عدد من المكتبات وهذا نظرا لاهتمام أهلها بالعلم والمعرفة وتأليف الكتب.

[169] أعراب فهيمة: المرجع السابق، ص175.

[170] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص295.

وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو تجلب من الخارج خاصة من الأندلس ومصر واسطنبول والحجاز، كما جلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار التي تصدر عن الطرق الصوفية وكان النسخ بالخط الأندلسي فضلا عن الخط العثماني الذي جيء به فيما بعد،[171] هذا ما أدى إلى وجود رصيد كبير من المكتبات منتشرة عبر المدن ما جعل العديد من الباحثين الفرنسيين يندهشون مما شاهدوه من مكتبات ومخطوطات وكتب متنوعة.[172]

ونفهم من هذا أن المدن الجزائرية كانت تتميز بنشاط ثقافي متنوع وغني بالتراث الفكري يستطيع أي باحث أو طالب الاعتماد عليه حاليا

فهذه مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري كانت تحتوي على مكتبات قيمة وذلك بشهادة الفرنسيين غداة الاحتلال[173] من تقارير كتبوها عن المكتبات في قسنطينة عقب احتلالها مباشرة وعن العائلات الكبيرة التي كانت تحتفظ بمخازن المخطوطات في حالة جيدة، إضافة إلى المكتبات الملحقة بالزوايا والمساجد[174] والتي تسمى بالمكتبات العامة والتي كانت مفتوحة خاصة للطلبة ثم لجميع القراء المسلمين ومن أشهر المكتبات في هذا النوع نجد مكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي ، أما المكتبات الخاصة فكثيرة غير أن بعض العائلات اشتهرت لطول عهدها بالنفوذ بالمكتبات دون الأخرى،[175]حيث قال احد

---

[171] مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان: **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 ــ 1830**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد5، العدد16، نيسان 2013، 1434، جامعة تقرت، ص438،437.

[172] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص286.

[173] يمينة سعودي: المرجع السابق، ص54

[174] حسين بوخلوة: **عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988هـ - 1073هـ)/(1580 - 1663م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009/2008، ص46.

[175] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص296.

المؤرخين:"... وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أين وجدت،وقد وجدت فرنسا عند دخولنا لمدينة قسنطينة 17 مكتبة خاصة تحتوي على 14000 من المجلدات".[176]

ومن هذه المكتبات نذكر مكتبة عائلة حمودة الفكون التي يضرب بها المثل بعد الاحتلال الفرنسي، حيث كانت غنية ليس بالكتب الخاصة بالجزائر فقط بل حتى بالكتب المتعلقة بالبلاد الإسلامية المجاورة، وذكر أنها تحتوي على نحو 2500 مجلد كلها في حالة جيدة وقد اشتملت أيضا على أكثر من 50 كتاب في الفقه والعقيدة و30 في التوحيد و300 في الحديث و11 في مصطلح الحديث،130 في علوم القرآن،300 في الفقه على المذاهب الأربعة، وهذه بعض عناوين الكتب الموجودة في مكتبة حمودة الفكون:

تاريخ الدولة العثمانية، وفيات الأعيان لابن خلكان، نفح الطيب للمقري، حسن المحاضرة للسيوطي، جغرافية ابن الوردي، ديوان ابن حزم، ديوان ابن عربي، ديوان الخفاجي، شرح مقامات الحريري، تاريخ ابن الجوزي، الصحاح للجوهري، معجم البلدان الكبرى، تاريخ ابن الأثير.[177]

إلى جانب مكتبة باش تارزي التي يقال عنها أنها اقل أهمية من سابقتها من حيث عدد الكتب ويقدر مجموعها بخمسمائة مخطوط،[178]كذلك نجد أيضا مكتبة ابن العربي ومكتبة الزاوية الرحمانية بطولقة، كل هذه المكتبات كانت تحتوي على ثروة معرفية قيمة تتمثل في الكتب والمخطوطات هذه الأخيرة التي كانت تتوفر في جميع مكتبات بايلك الشرق

[176] محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص61.

[177] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص306 ـ 308.

[178] لخضر درياس: **المخطوط القسنطيني في عيون الاحتلال**، من التراث القسنطيني المخطوط، معرض منظم في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، ص36.

حسب التقارير الفرنسية انه تم جمع أكثر من ثمانمائة مخطوط عاد بها إلى الجزائر 10 لكنها لم تصل إلى مأمنها فقد ضاع منها الكثير.[179]

كل هذا يثبت وجود الوثائق والمخطوطات والكتب في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني، أما بعد دخول الفرنسيين فقد كان مصير هذا الزخم العلمي والزاد المعرفي قد تعرض للضياع والسرقة والتلف فاختفت كتب المدرسة الكتانية وتبددت كتب البشتارزية وكتب المساجد والزوايا.

ه الوقف

تعريف الوقف لغة: مصدر وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه واحبسه وجمعها أوقاف ووقوف وسمي وقفا لما فيه من حبس المال على الجهة المعينة، ويقال وقفت الكلمة ووقفت الأرض على المساكين وجاء في الصحاح للمساكين وقف حبسها، ووقفت الدابة والأرض وكل شيء، ومرادف الوقف هو الحبس وتعني ما وقف وحبس في سبيل الله واحبسه والحبس يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما ولا يورث ولا يباع من ارض ونخل وكرم ومستغل.[180]

اصطلاحا: هو حبس العين على حكم ملك الواقف أو عن التمليك والتصديق بالمنفعة، ويعرف أيضا انه عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية تقوم على توفر الذي له أهلية التبرع بما يملك من ذات أو منفعة وعلى وجود الموقوف وهي المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس[181]

---

[179] بن يحيى فطومة: **مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية تاريخها ومصدرها**، من التراث القسنطيني المخطوط، معرض منظم في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، ص19.

[180] عبد المنعم القاسم الحسني: **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862 – 1962**، دار الخليل للنشر ، الجزائر،2013، ص332

[181] الأمير بوغدادة: **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني(القضاء نموذجا)**، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، قسنطينة،2008، ص48.

وقد عرف أبو القاسم سعد الله الأوقاف على أنها نظام إسلامي له أهمية اجتماعية واقتصادية كبيرة في المجتمع واستحدثه المسلمون لتوفير المال والسكن وغيرها من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء والغرباء والأسر واللاجئين وصيانة المؤسسات التي أنشأت لهذه الأغراض كالماء والطرق والمساجد والزوايا والقباب وهذا النظام يرمز إلى التكافل الاجتماعي.[182]

إذا يمكن القول أن الوقف هو عبارة على وثيقة شرعية قانونية كانت تسجل عند القاضي بحضور صاحب الوقف والشهود مع احترام الواقف وأهله والمستفيد منه وكذلك السلطة مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الشهود والقاضي.

أما عن أغراض الوقف فتتمثل في:

- العناية بالعلم والعلماء وبالفقراء والمساكين والأرامل واليتامى حيث كان يعين مدخول لتموين المساجد والزوايا والكتاتيب والأضرحة، وقد عرف العديد من الشخصيات الدينية والسياسية من العثمانيين أنهم خصصوا مداخيل الأوقاف لخدمة المساجد والزوايا وكذلك عرفت فئة النساء في المجتمع هذا النظام.
- العمل على تماسك الأسرة الجزائرية وحفظ حقوق الورثة.
- الإنفاق على رجال العلم والمدرسين والطلبة كما يساهم في إعانة الطلبة على مواصلة دراستهم بجامعات إسلامية كالقيروان وجامع الزيتونة والقاهرة
- التأثير الديني والسياسي خارج الحدود كإرسال النفوذ سنويا إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج.[183]

وقد تطورت إدارة الوقف في العهد العثماني كنتيجة سياسية واقتصادية، مرتبطة أساسا بفئة معينة ولما أصبحت الجزائر مقاطعة تابعة للدولة العثمانية فقد مسها هذا النظام وأنشأت

[182] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج5 ، ص152.

[183] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص228 ـ 233.

مؤسسة الأوقاف لغرض التكفل والاعتناء بالطبقات المحرومة كالفقراء والمساكين. ما أدى إلى انتشار ثقافة الوقف فيما بعد لدى المجتمع الجزائري سلطة وشعبا وذلك من خلال الدور الذي لعبته هذه المؤسسة، [184] خاصة في ما يخص التعليم فيعتبر المصدر الأساسي لنشر التعليم والمحافظة على الدين.

لهذا نجد أن في كل مسجد أو زاوية وقف خاص بها يستفيد منه الطلبة خاصة والأهالي عامة، وقد حظيت مؤسسة الأوقاف برعاية احد أشهر البايات كما أسلفنا الذكر في إقليم بايلك الشرق أواخر العهد العثماني وهو صالح باي والذي كانت المنطقة قبل توليه تعاني الاضطرابات والفوضى والإهمال الذي تسبب في عوائدها وإتلاف أملاكها وقد مهد صالح باي في تنظيمه للأوقاف بإجراء إصلاحات شاملة ودقيقة لكل ما يتصل بالأوقاف اشرف عليه القاضي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي.

إن الحرص الشديد بالعناية بهذه المؤسسات تبينت من خلال إحدى وثائق المؤرخة سنة 1190هـ:" الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها ... سيدنا صالح باي أيده الله تعالى ... فألهمه الله إلى إحياء ما أندرس من المساجد والأوقاف ... أمر حينئذ قضاته والمفتيين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دمرت ويثبتوا ذلك في ثلاث سجلات متماثلة فامتثلوا أمره وبذلوا جهدهم في البحث عن أوقاف المساجد والمساجد التي اندثرت، واثبتوا بعد الكشف عن ذلك أوقاف مساجد قسنطينة بهذا السجل وثلاث سلات مماثلة له لفظا معنى... وذلك أواسط شهر ربيع الأول عام 1190".[185]

وبعد حصوله على هذه السجلات طالب نقلها في أربع نسخ كل واحدة في ذمة موظف سام، تم حفظ النسخة الأولى عند وكيل بيت المال والثانية لدى شيخ البلد والثالثة لدى قاضي

[184] الأمير بوغدادة: المرجع السابق، ص48

[185] ناصر الدين سعيدوني: ورقات...، ص 296.

الحنفية والرابعة لدى قاضي المالكية، كما اقر سجلا كبيرا جامعا لأملاك مساجد قسنطينة وسن سجلات صغيرة، أو كراسات تخص كل منها مسجدا أو جامع أو زاوية.

ويحتوي هذا السجل على عقود عدلية صدرت عن المحكمة الشرعية لمدينة قسنطينة موثقة بتوقيع شهيدي العدل ومصادق عليها بخاتم القاضي وهو من له الحكم الشرعي وتم تأسيس الوقفيات بين 1187هـ/1773مو 1203هـ/1789 وبعضها مختوم بطابع صالح بن مصطفى ويرجح أنها تلك التي تخصه شخصيا.

وقد اعتمد صالح باي في هذا العمل على المذهب الحنفي، وقد صنفت هذه الأوقاف إلى أوقاف صالح باي الذرية وعددها 29 عقدا وأوقاف أعيان المدينة وعددها 24 عقدا.[186]

ثالثا: الطرق الصوفية وتأثيرها في مجتمع بايلك الشرق

أ مفهوم الطرق الصوفية

1 تعريف التصوف:

يعتبر التصوف ظاهرة صاحبت الإنسان منذ وجوده واختلف مدلولها من دين لأخر بل اختلفت في الدين الواحد نفسه بين جماعة و أخرى، وهو ما يفسر قول صوفية المسلمين من أن عدد الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.[187]

ولقد تعددت مفاهيم التصوف بسبب انتشار المتصوفة الذين اهتموا به كعلم من خلال دراساتهم، ومن هنا تجلى إعطاء بعض التعريفات اللغوية و الاصطلاحية للتصوف وهي كم يلي:

لغة: تشتق كلمة التصوف من فعل صوف جعله صوفيا وتصوف صار صوفيا أي تخلق بأخلاق الصوفية، والصوفية فئة من المتعبدين و الواحد يسمى صوفي و مصطلح صوفي

---

[186] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص49، 50.

[187] وفاء بن علية: **زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، باتنة، 2008،ص 8.

يشير إلى مجموعة من المتعبدين و الروحانيين الذين اشتغلوا بالتصوف،[188] والراجح أن اشتقاق كلمة التصوف من لبسهم و الذي هو مصنوع من الصوف،[189] و أيضا صوفيا the Sophy اليونانية التي تعني الحكمة و من هذه المصطلحات صار التصوف يدل على سلوك و ممارسة التطهر[190].

أما ابن خلدون فيقول في التصوف :"والظاهر أن التصوف مشتق من الصوف و هم في الغالب مختصون بلبسه..." و ذلك زهدا منهم و ابتعادا عن اللباس الناعم و نظرا لعدم الاستقرار على اسم واضح لهذه الظاهرة هناك من يرى إن التصوف كلقب يطلق على فئة معينة من الناس هو التعليل الأقرب إلى العقل و المنطق.[191]

اصطلاحا:

يمكن تعريف التصوف اصطلاحا على انه حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري ،تدعو للزهد وشدة العبادة ،تعبر عن فعل مضاد للانغماس في الترف، أما أبو القاسم سعد الله يورد في كتابه نقلا ابن خلدون في تعريفه للتصوف على أنه العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيها مما يقيل على الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد على الخلق في الخلوة للعبادة.[192]

---

[188] محمد عجيلة، الجيلالي بهاز ومصطفى عبد النبي: **تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، المركز الجامعي غرداية، 2011، ص364.

[189] عبد الله بن دجين السهلي: **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها**، دار كنوز شيليا، الرياض، 1426هـ/2005، ص9

[190] عباس كحول: **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، 2013، ص41.

[191] بوزياني الدراجي: **عبد الرحمان الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، بلاد للنشر والتوزيع، البويرة،2009، ص28.

[192] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي1830 ـ 1854**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص8.

و كذلك هو رحلة روحانية تعتمد على الخلوة و التجلي الرباني، أو اللقاء العرفاني المتوج بالوصال والكشف الإلهي والوصول إلى الحضرة الربانية و على المريد أن يتجرد من أوساخ الدنيا و يتوب إلى الله و أن يتطهر من كل أردان الجسد و يبتعد عن ملذات الدنيا.[193]

وعرف أيضا على انه علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملك و تصفية البواطن من الرذائل و تحليها بأنواع الفضائل وأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة، فالمتصوف يجب أن يتجلى بهذا السلوك بتوجيه العامة نحو الإصلاح والاسترشاد خدمة للسلام العام ولسيادة الأمن والاستقرار مما يفسح المجال أمام طالب العلم والتفرغ للعبادة.[194]

2 تعريف الطرق الصوفية

الطريقة في رأي السنيين هي التي كانت على يد أبي بكر الصديق، وقد كان لهذا التصوف طرق كثيرة حيث أن الطريقة هي حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية الحقيقية والإلهية،[195]

وقد اختلف معنى الطريقة عبر القرون لتطور تطبيق الصوفية له حيث أصبحت الطريقة لها بيعة معينة وأوراد وزي خاص ومواد معينة وأضرحة تعبد من دون الله وزوايا يجتمعون فيها، وكل شيخ طريقة له خلفاء وغالبا ما تكون مشيخة الطريقة. وتختلف الطرقة عن التصوف بأنها ليست تجربة فردية بل جماعية وغالبا ما يكون أصلها احد المتصوفة، وهي تتخذ شكل أخويات دينية حيث يقوم احد العقلاء باقتراح طريقة ويضع لها شرط الانتساب.[196]

---

[193] محمد عجيلة وآخرون: المرجع السابق، ص365

[194] زين الدين بن عبد الله: **المقاومة في الفكر الصوفي**، مجلة بوليكرومي، العدد1،الندوات العلمية لسنة 2012، قسنطينة، ص92.

[195] محمد عجيلة وآخرون: المرجع السابق، ص366.

[196] عبد الله بن دجين السهلي، المرجع السابق، ص11.

ويختلف أيضا رجال التصوف حسب الرسائل التي يستعملونها للوصول إلى هدفهم، حيث أن البعض يرى التصوف في الممارسات والوسائل التي توصل إلى الحقيقة وهي ممارسة التطهر والتقشف والقيام بالواجبات الشرعية على أتم وجه والتحلي بالأخلاق والفضائل وتجنب كل الشبه والمزالق ونتيجتها التسامي والتطهر للوصول إلى الدرجة العليا في التقرب إلى الله ونيل رضاه.[197]

والطريقة الصوفية هي شكل من أشكال التنظيم الديني السياسي والثقافي يغلب عليها طابع الغموض والسرية وتتصف في علاقاتها بالسلطة بالاضطراب والتمرد في كثير من الأحيان والمساندة والمؤازرة في بعض الأحيان الأخرى.[198]

ب أنواع الطرق الصوفية في الجزائر

إن استمرار الوجود العثماني في الجزائر أكثر من ثلاث قرون وأثناء هذه الفترة تفاعلت ثقافات كثيرة داخل المجتمع الجزائري وتعايشت أجناس وجنسيات متعددة وأنظمة سياسية مختلفة، وقد احتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية.[199]

وتنقسم الطرق الصوفية في الجزائر إلى نوعين أساسيين وبارزين:

النوع الأول خلواتي: ويدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة والقدرة على تلقينها فيفرضون عليهم أذكار خاصة يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة معينة حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين وبعد ذلك يفرضون عليهم أذكارا خاصة تدعى الورد.

---

[197] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ص4 ـ 9.

[198] محمد عجيلة وآخرون: المرجع السابق، ص366.

[199] أحميدة عميراوي: المرجع السابق، ص29.

أما النوع الثاني غير خلواتي: ولا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ولكن يتخذون لأنفسهم وأتباعهم وردا معينا من الأذكار والصلوات يتلونها وراء الصلوات ويتصدون لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار وتعليم بعض علوم الدين واللغة[200]

وقد قامت بعض الطرق بفرض شيء من المال على المريد حتى أعطته الصبغة الإلزامية لأنها تنطلق من الطاعة إلى الشيخ، وهي الركن الرئيسي في الصوفية كذلك يقوم المريد بدفع التزاماته المالية اتجاه الطريقة، وتعتبر من أهم مظاهر الانضباط والسلوك الحسن داخل المؤسسة الواحدة التي يدافع عليها المريدون بأنفسهم وأموالهم.

وقد تميزت الطرق الصوفية بالتربية الروحية والانضباط والتعليم الذي أعطته البعض منها أهمية كبرى هذا ما جعلها تعرف انتشارا كبيرا في المدن قبل الأرياف ذلك أن معظم المتصوفين قد ظهروا في المدن الكبيرة مثل قسنطينة.[201]

أما عن الطرق الصوفية المشهورة في الجزائر فهي: القادرية، الشاذلية، الخلوتية، الرحمانية، العيساوية، الطيبية، السنوسية والعمارية.

الطريقة القادرية: وهي طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي، نشأت بالعراق في القرن الثاني عشر ووصلت إلى افريقية في أواخر القرن الخامس عشر، وتنسب إلى العالم المتصوف عبد القادر الجيلالي،[202]وقد دخلت هذه الطريقة إلى الجزائر عن طريق الشيخ سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفى سنة 594هـ.

---

[200] يحيى بوعزيز : **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب** ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص219.

[201] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج1، ص463.

[202] عبد القادر الجيلالي: هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محي الدين الجيلالي أو الكيلاني أو الجيلي مؤسس الطريقة القادرية من كبار الزهاد والمتصوفين، انظر: إبراهيم مياسي: **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، 215.

وقد تفرقت القادرية إلى قيادات صغيرة في مختلف نواحي الوطن منها: زاوية تبسة، زاوية منعة بالاوراس المعروفة بزاوية ابن العباس.[203]

الطريقة الشاذلية: فتنسب إلى تاج الدين ابن الحسن الشاذلي المولود بقرية عمارة قرب سبتة بالمغرب الأقصى سنة 593هـ،[204] ويعود تأسيس هذه الطريقة إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي بالمغرب وهي من أقدم الطرق الصوفية استقرارا، ثم في حوالي القرن السابع عشر ميلادي انتشرت في كامل القطر الجزائري.[205]

وتفرعت عنها العديد من الطرق وهي: اليوسفية، الشيخة، الطيبية، الحنصلية، الزيانية، القرزانية، العلياوية، العيساوية ومن أشهر أعلام الشاذلية: أبو العباس احمد بن عمر بن الأنصاري المرسي، توفي سنة 686هـ، واحمد بن عطا لله الاسكندري الشاذلي، وقد أحصى احد الفرنسيين عدد الزوايا التابعة للطريقة الشاذلية بالجزائر في أوائل الاحتلال الفرنسي ب21 زاوية و99 مقدما و195 طالبا و14206 من الأتباع.[206]

الطريقة التيجانية: أسسها الشيخ أبو العباس احمد بن المختار بن احمد التيجاني نسبة لقبيلة بني توجني التي استقرت قديما بعين ماضي ومنها تنحدر السيدة عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن السنوسي التيجاني.

ولد مؤسس هذه الطريقة بعين ماضي الواقعة بالغرب من مدينة الاغواط سنة 1150هـ، وفيها حفظ القرآن الكريم وتلقى على شيوخها علوم اللغة العربية والفقه المالكي وما إن أصاب الطاعون بلدته غادرها منتقلا ويتعلم إلى أن عاد إلى تلمسان، اتصل بالشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري واخذ منه من فنون الحكمة وعاد إلى البيض وفيها أسس

---

[203] سفيان لوصيف: **المراكز الثقافية في منطقة الأوراس(1848 ـ 1954) قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي**، دورية كان التاريخية، العدد15، مارس 2012، ص34.

[204] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص96.

[205] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج4، ص66.

[206] عبد الله بن دجين السهلي: المرجع السابق، ص86

الطريقة التيجانية ووضع لها أسس ولها الفضل الكبير في نشر الإسلام في جميع البلاد المجاورة.[207]

الطريقة السنوسية: تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الإمام محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي وهو سليل أسرة تمتد جذورها إلى ملوك الادارسة مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب بمدينة مستغانم ولد في الثاني عشر من ربيع الأول 1202هـ/1787 بمستغانم.

ونسب السنوسي يرجع إلى جدهم الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان المشهور، وبعد أخذه للعلم من كبار الشيوخ أمثال الشيخ العربي بن احمد الدرقاوي وحصل على المشيخة الكبرى ثم عاد إلى الجزائر متنقلا بين مدنها ثم إلى تونس، ليبيا، مصر فمكة المكرمة التي حط بها الرحال واجتمع بكثير من علمائها وبعد أن انتقل إلى رحمة الله عين الشيخ علي السنوسي إماما عليها وأصبح اسمها الطريقة السنوسية وانتقل إلى برقة وبدأ بنشر دعوته وانشأ زاوية المسماة الزاوية البيضاء.[208]

رابعا: الطريقة الرحمانية وتأثيرها في مجتمع بايلك الشرق

أ الطريق الرحمانية

1 التعريف بمؤسس الطريقة الرحمانية:

هو الشيخ الفقيه الصوفي الأزهري محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم القشوطي الزواوي الإدريسي الحسين شيخ الطريقة الرحمانية الخلوتية المنتشرة في كامل إفريقيا الشمالية والوسطى وهو أول من جاء بها من المشرق للمغرب ولد سنة1132هـ/1720م بقرية بوعلاوة،[209]بعشيرة آيت إسماعيل من إقليم قسطولة من ارض جرجرة، وهناك نشأ وزاول تعليمه الابتدائي على يد الشيخ محمد بن بلقاسم التاجديوي وكان ابن أعراب قد زار مصر وعاد منها بثقافة واسعة، ثم ارتحل صغيرا إلى المشرق سنة 1152هـ فحج إلى بيت الله .

---

[207] أبو القاسم سعد الله: تاريخ ...، ج1، ص509 ـ 511.

[208] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج4، ص192 ـ 194.

[209] عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام ج4**، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص268، 269 .

ثم نزل إلى القاهرة مجاورا للأزهر الشريف ، واخذ العلم من المشايخ أمثال: محمد بن سالم الحفناوي، الشيخ علي بن احمد الصعيدي، الشيخ أحمد الدردير ومن ذويهم من علماء مصر، بعدها ارتحل للهند ومنها إلى الجزائر سنة 1183هـ/1769م واستقر ببجاية فأقبل عليه الناس ما بين متبرك ومستفيد واكتسب أتباعا له.

انقطع بعدها للقيام بتلقين آداب الطريقة الخلوتية ونشرها بين كافة الشعب حتى عمت هذه الطريقة بلاد الجزائر، حيث امتدت هذه الطريقة إلى منطقة شرق الجزائر وتونس مرورا بمنطقة الأوراس حيث كثر أتباعها وتعددت مراكزها.[210]

2 التعريف بالطريقة الرحمانية:

أصلها كان الطريقة الخلوتية لكنها نسبت إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري القشطولي المعروف ببوقبرين لأنه دفن في مكانين بآيت إسماعيل ثم نقل جثمانه ودفن في زاوية الحامة، والذي ادخلها إلى الجزائر على أنها الطريقة الخلوتية ومع تأسيس أول زاوية له سميت بالطريقة الرحمانية تيمنا به فكان ذلك سنة 1764 ـ 1793.

وبين الإرشاد والتأسيس انتشرت هذه الطريقة في بعض مناطق الشرق والوسط وسطيف وبسكرة وجلفة وكانت أوسع الطرق انتشارا إذ ضمت في أواخر القرن19 حوالي 156000 عضو من أصل 295000 هم مجموع منتسبي كافة الطرق بالجزائر آنذاك وتتواجد زواياها في منطقة زواوة وقسنطينة والاوراس وبالجنوب وبمنطقة اولاد نايل ولا ننسى زوايا تونس الرحمانية.[211]

وهذه بعض زواياها:

❖ زوايا منطقة زواوة:

- زاوية سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري
- زاوية الشيخ ابن الحداد بصدوق
- زاوية بن سحنون تباعراست
- زاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي

[210] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص155، 156.

[211] محمد عجيلة وآخرون: المرجع السابق، ص369.

❖ زوايا قسنطينة

- زاوية الشيخ عبد الرحمان باش تارزي
- زاوية بن الحملاوي بتلاغمة

❖ زوايا الأوراس

- زاوية بني عبد الصمد
- زاوية الصادق بالحاج
- زاوية الشيخ علي دردور

❖ زوايا الجنوب

- زاوية محمد بن عزوز البرجي
- الزاوية العثمانية بطولقة
- زاوية خنقة سيدي ناجي
- زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال
- زاوية سيدي سالم بوادي سوف
- زاوية الهامل بالقاسمية

❖ زوايا اولاد نايل

- زاوية الشيخ بن عرعار
- زاوية عين أغلال
- زاوية الشيخ الشريف بن التحرش

❖ زوايا تونس الرحمانية

- زاوية الكاف
- زاوية سيدي عبد المالك بسليانة
- زاوية سيدي مصطفى بنفطة[212]

ب زوايا الطريقة الرحمانية بمنطقة بايلك الشرق

زوايا قسنطينة: أشهر زواياها

[212] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص158، 159.

زاوية الشيخ عبد الرحمان باش تارزي(قسنطينة):

أسسها العلامة الولي الهمام الشيخ السيد الحاج عبد الرحمان بن احمد بن حمودة ابن مامش باش تارزي، الجزائري المنشأ القسنطيني دارا ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة،كان حكيم ومصلح ومن مؤلفاته "عمدة المريد" في بيان الطريق و "المنظومة الرحمانية" التي شرحها ابنه الشيخ مصطفى وله بعض القصائد والموشحات الغريبة، توفي رحمه الله سنة 1222هـ.

تقع زاوية الشيخ بمدينة قسنطينة وتعد من الزوايا الرحمانية الأولى التي تأسست وذلك في حياة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وتعد أم الزوايا بالشرق والجنوب تأسست مع نهاية القرن 18م، وما يميزها أنها بنيت على خلاف باقي الزوايا ومن خريجيها الشيخ بن عزوز البرجي، صالح بن محمد العنتري.

ومن ابرز شيوخها: عبد الرحمان باش تارزي، مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي ، محمود بن مصطفى بن عبد الرحمان باش تارزي، محمد بن محمد بن عبد الرحمان باش تارزي ، الحاج السعيد بن احمد باش تارزي، الحاج احمد باش تارزي.[213]

زوايا الأوراس:

زاوية الصادق بالحاج:

أسسها الشيخ محمد الصادق بن الحاج الطاهر بن بلقاسم بن الحسين بن منصور المشهور بالصادق بالحاج[214] عند أهل الأوراس والصادق بن الحاج عند سكان بسكرة وما جاورها من واحات الزيبان وصدوق في الكتابات الفرنسية، من عرش اولاد أيوب، نشأ في منطقة احمر خدو الذي يمتد من رأس الرواق الرغاية سريانة.[215]

---

[213] أبو القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف ج1**، تقديم: محمد الرؤوف القاسمي، موقم للنشر، 1991، ص6 ،7.

[214] محمد الصالح حثروبي: **قطف الجنان في تاريخ الزيبان دائرة زريبة الوادي**، دار الهدى، الجزائر، 2000، ص51.

[215] عباس كحول: **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849 ـ 1959**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسنطينة،2010/2009، ص116.

الزاوية هي من إحدى الزوايا بالاوراس زاوية الصادق بالحاج تقع بجبل احمر خدو، أسسها الشيخ سي الصادق بن الحاج الاوراسي قبل سنة 1814، بأمر من شيخه محمد عزوز البرجي قامت بدور كبير في جمع أتباع الطريقة الرحمانية وزيادة انتشارها بالاوراس رغم موقعها الغير استراتيجي، إلا انه أسسها بهدف استفادة أبناء بلدته من علمها وان يكون لسكان منطقة الأوراس نصيب من العلم الروحي والديني.

توفي شيخ الزاوية سنة 1862 بعد نقله لسجن الحراش فالتف مقدميه تحت إمرة ابنه الشيخ الطاهر الذي أسس زاوية أخرى بـ تيبرماسين بجبل احمر خدو والتي وصل تأثيرها إلى الأوراس، عين التوتة، تقرت، اولاد جلال.[216]

تمثل نشاطها العلمي في إنشاء الطاهر بن الصادق زاوية جديدة بتيبرماسين، وأشهر أساتذتها طاهر بن صادق بالحاج، الجموعي الزريبي، محمد باردو ملكمي، الصادق حرزلي اوزازلي، وأصبح للزاوية امتداد ونفوذ في الزاب واحمر خدو والاوراس مثلها مثل معظم الزوايا.

إضافة إلى هذا سعى الشيخ للحفاظ على الهوية والشخصية الوطنية إذ انه كان يتنقل من منطقة لمنطقة لتوعية الناس وتحذيرهم من سياسة فرنسا التعليمية ومن آثاره: مخطوط المعارج، كمال الكمال.[217]

الزاوية العثمانية بطولقة

هي إحدى زوايا الجنوب تقع ببلدة طولقة التي تبعد عن مدينة بسكرة عاصمة الزاب الشرقي والغربي بحوالي 40 كلم ناحية الغرب وبالتحديد تقع خارج البلدة القديمة في الطريق المؤدي إلى برج بن عزوز في مكان يسمى حارة الهبرة.

أسسها الشيخ علي بن عمر الطولقي الذي لقب بالقطب وشيخ الشيوخ لأنه اخذ مباشرة عن مؤسس الطريقة وتسمى بالعثمانية نسبة إلى جد الشيخ علي بن عمر الشيخ سيدي علي بن عفان وقد تأسست هذه الزاوية سنة 1191هـ/1780م وتعتبر من أغنى الزوايا إذ أنها

---

[216] عبد المنعم القاسمي: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل للنشر والتوزيع، مسيلة،2013، ص736،737.

[217] عباس كحول: دور...، ص120.

تملك غابات الزيتون في بلاد القبائل وغابات النخيل في وادي ريغ ودكاكين وحمامات على شكل حبوس.

وقد توالى على هذه الطريقة العديد من الشيوخ الأفاضل والذين تفانوا في خدمة الشعب بالتوعية والتعليم أمثال:

الشيخ مصطفى بن عزوز: الذي ولد ببلدة البرج 1220هـ/1803م في زاوية والده الشيخ محمد بن عزوز الذي كان الولي الأكبر والقطب الأشهر، وقد تولى رئاسة الزاوية بناءا على أمر شيخه وذهب إلى الجنوب الغربي وشرع في تأسيس الزاوية هناك بعد عودته لطولقة، توفي شيخه علي بن عمر وتولى رئاسة الزاوية لمدة ستة أشهر توفي سنة 1887م[218]

الشيخ علي بن عثمان: هو اكبر أبناء الشيخ علي بن عمر، ولد في طولقة سنة 1230هـ/1814م اشرف على تسيير الزاوية وعمره لم يتجاوز 18 سنة، له في مكتبة الزاوية رسائل مخطوطة منها رسائل الشيخ محمد بن عزوز البرجي، توفي الشيخ سنة 1898م ودفن بالزاوية.[219]

ج تأثير الزاوية الرحمانية في مجتمع بايلك الشرق

إن للزاوية الرحمانية تأثير كبير على إقليم بايلك الشرق وذلك بانتشارها الواسع في هذه المنطقة وتأثر أهلها بمبادئها وشيوخها خاصة في فترة أواخر العهد العثماني الذي انتهى بالاحتلال الفرنسي حيث شارك في المقاومة ضد الاستعمار ولعبت دورا كبيرا في توعية الشعب وتحقيق الوحدة الروحية بين الأفراد وذلك للحفاظ على الوحدة الوطنية نتيجة التلاحم الروحي والديني بين الأرياف والمعالم الدينية ونقل الطلبة إلى جهات عديدة.

وقد عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة وذلك بتهذيبهم بالقيم القرآنية والتمرس على الطاعة ونبذ العنف، كما أثرت أيضا من الجانب الاقتصادي والاجتماعي حيث ساهم الوقف في خدمة العمل الخيري والاجتماعي والتعليمي ودور التدريس وتفعيل مهام المساجد، إذ ظل المصدر الهام والمورد الأساسي.

---

[218] عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص741 ـ 744.

[219] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص404.

كما لعبت دورا هاما في إنهاء الخلافات والخصومات التي كانت تنشأ بين الأفراد والجماعات وذلك بفضل مكانة شيوخها ومقدميهم ووكلائهم، فمثلت دور الحكم وقللت من الخلافات والمشاكل بين الناس وذلك ما أدى إلى تمتع مجتمع بايلك الشرق بالاستقرار النفسي والخلقي.

واعتبرت قطبا للحياة الدينية ومركزا ثقافيا تعليمي مهم، وكانت الطريقة الرحمانية تضم في إقليم البايلك حوالي عشرة آلاف مريد وهذا لتأثيراتها الايجابية على سلوك المجتمع المنتشرة فيه.

ومن جهة أخرى كان لها تأثير سلبي وذلك من خلال احتدام الخلافات بين الشيوخ التابعين للطرق الصوفية الأخرى حول بعض القضايا الهامشية الخاصة بالدين ما أدى إلى وضع الكثير م الأفراد تحت سيطرة الطرقيين والمشعوذين، ما فسح المجال للتبجيل باسم الدين واختلط التصوف مع المبتدعة حيث انه لم يكن لهم إلا البحث الروحي التقدم إلى الوراء، وبالتالي تغييب الناس عن واقعهم والانغلاق على الذات والجنوح نحو الخلوة.[220]

[220] محمد عجيلة وآخرون: المرجع السابق، ص369، 370 .

لقد كان الاهتمام بالتعليم في بايلك الشرق إحدى الأولويات التي لم تهتم بها السلطة العثمانية، حيث كان اهتمامها يتركز على الجانب السياسي والعسكري تاركة الجانب الثقافي للمجتمع الذي لعب دورا هاما في الوقوف على نشر العلم وتطويره، خاصة فيما يخص التعليم الديني الذي كان سائدا في تلك الفترة، والذي كان من الضروريات التي يجب على الطالب تعلمها والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم ثم تعلم مبادئ اللغة العربية وكل هذا كان يأتي على مراحل، وتميز مجتمع بايلك الشرق في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني بأنه يكاد يخلو من الأمية .

وقد كان للعائلات وبعض الشخصيات السياسية دور كبير في الاهتمام بالعلم وذلك بالاهتمام بالمؤسسات والمراكز الثقافية كبناء المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات وقد كانت مؤسسة الوقف إحدى المؤسسات التي ساهمت في توفير الظروف الملائمة للتعليم من خلال الأموال التي كانت تجمع من الأوقاف.

وبما أن مجتمع بايلك الشرق كانت ثقافته ذات طابع ديني فقد انتشر التصوف في صفوف شيوخ الزوايا، واحتلت الطرقية مكانة هامة عندهم، وكانت الطريقة الرحمانية الأكثر انتشارا في إقليم البايلك حيث كانت تضم أكثر من عشرة آلاف مريد، وقد كان لها تأثير كبير على المجتمع ما أدى إلى انتشارها عبر الإقليم وأصبح لها العديد من الأتباع.

الفصل الثاني

مساهمة العلماء في الحياة الثقافية في بايلك الشرق

أولا: مكانة العلماء الاجتماعية في بايلك الشرق

ثانيا: العلوم النقلية والعلوم العقلية

ثالثا: أشهر العلماء والمؤلفين في بايلك الشرق

أولا: مكانة العلماء الاجتماعية في بايلك الشرق

لم تكن فئة "العلماء" ظاهرة وليدة العهد العثماني ولا هي ميزة خاصة بالجزائر دون بقية العالم الإسلامي[221]، رغم أنها شكلت بالجزائر طبقة مميزة محترمة "موقورة" الكرامة لهذا تقرب منهم رجال السلطة وخشوا بأسهم لقوة تأثيرهم على الأهالي.

وبما أن الطابع الغالب في ذلك العصر هو الطابع الديني العلمي فلم يفصل بين العلم والدين لأن كلاهما يكمل الآخر، فحسب معيار العصر فالعالم الحق كان عليه أن يكون عالما وفقيها في دينه قبل دراسته أمور دنياه[222]، لذا فكلمة علماء تعني "رجال الدين" بالمعنى الأدق، لأن الحياة الفكرية كانت دينية صوفية في آن واحد. [223]

والعلماء فئة تمثل أعضاء مجالس القضاء والمراكز الدينية والتعليمية ورؤساء الطرق الصوفية و"نقابة الأشراف"، فكان رجال الدين هم العلماء فكل محدث أو فقيه أو مفسر يعد في نظر الناس عالما ويلقب " بسيدي فلان " وإن جمع بين عدة علوم فهو بحر غزير. [224]

وقد قسم الدكتور "سعد الله" العلماء خلال العهد العثماني إلى ثلاث أصناف: العلماء الموظفون والفقهاء المستقلين لأصله لهم بالتصوف، ثم العلماء المتصوفة ثم المتصوفة دعاة العلم والولاية (المرابطين). [225] هذا من الناحية العلمية أما من الناحية الوظيفية فهم طبقتين:

---

[221] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 1، ص 388.

[222] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، الجزائر، 1350، ص 37.

[223] محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص 48.

[224] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 1، ص 481.

[225] محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص 48.

الطبقة الرسمية التي تشمل القضاة "والمفاتي" والمدرسين ثم الطبقة الملحقة بها من رجال الزوايا والمتصوفة و"سلالة الأشراف"، المنحدرة من سلالة الرسول (ص) وهم على شكل مجموعات في كل الأحياء تحت رئاسة نقيب الأشراف وغالبا ما يكون تابعا "لنقيب اسطنبول" وقد تولت هذه الأخيرة وظائف دينية. [226]

ويندرج ضمن فئة العلماء، المفاتي والأئمة والخطباء والوعاظ والمؤدبون والقائمون بشؤون المساجد، وخدام الأضرحة، إضافة إلى "الخواجات" والمثقفون الأحرار والمرابطون. [227]

وبما أن أفراد هذه الفئة هم العارفون بالدين فقد تشكل منهم " المجلس العلمي " الذي يعد بمثابة " ديوان المظالم " أو مجلس استئناف شرعي يحضره الباشا بنفسه[228]، يهتم بالنظر في الخصومات التي ترفع إليه من المحكمة ويتكون من المفتيين والقاضيين من كلا المذهبين إضافة إلى موظفين آخرين، كان مقره الجامع الكبير أما في قسنطينة فيعقد كل جمعة وبحضور الباي. [229]

وتنتمي فئة العلماء بالمدن إلى طبقة الحضر التي تأتي في المرتبة الثالثة في المجتمع خلال العهد العثماني، فهي لم تطمح إلى مناصب سياسية، بل اكتشفت بالمناصب الدينية، وقد جعلت السلطة فئة العلماء في موقف الوسطية بينهما وبين الأهالي هذا الدور كان يخضع للظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع والتي وضعت العلماء في مستويات

---

[226] حمدان بن عثمان خوجة: المرجع السابق، ص 125.

[227] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 1، ص 398.

[228] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 37.

[229] ناصر الدين سعيدوني: دراسات....، ص 155.

مختلفة حسب دورهم في الوسائط، فعلماء المدن ومرابطيها كانت لهم وضعية مريحة مقابل حيادهم عن السياسة وإرضاء للسلطة وهم يترفعون عن علماء الريف ويعارضون توليهم الوظائف وقد ظهر هذا جليا في قسنطينة.

أما الريف فكان المرابط ينتمي إلى عائلة دينية ويكون في دائرة ضيقة عن عالم الريف، يعلم على رعاية التعليم والقيام بدور المؤذن والإمام إضافة إلى الفصل في الخصومات والإصلاح بين القبائل وقد اكتسبت فئة العلماء امتيازات بفضل توليها التدريس والمهام القانونية والشرعية لكنها أساءت لنفسها ببحثها عن الغنى والمتعة، كما أنها تميزت بسمة بارزة وهي توريث الوظائف حيث احتكرت عائلات وظيفة ما لسنوات عدة اعتمادا على علاقة البنوة، الأخوة أو المصاهرة.

وقد اعتبر أفراد فئة العلماء كمرشدين دينيين واجتماعيين يرتبطون بالمجتمع عن طريق التوعية الفكرية والدينية، والوقوف في وجه الانحراف السياسي والتعسف الضريبي وهذا ما زاد من قوتهم ومكانتهم. [230]

وهذا ما تمتع به علماء قسنطينة في العهد العثماني حيث يقول أحد المؤرخين: " كانت قسنطينة على عهد الأتراك... عاصمة دينية وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام كما أنها كانت عاصمة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية ثم يتفرقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم، أن قسنطينة حقا مبعث نور الجزائر كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم ".

[230] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 1، ص 439 – 450.

وعلى ضوء هذا يتبين لنا أن الثقافة في الجزائر قد كانت جهوية إقليمية أكثر منها قطرية عمومية وأنها كانت محصورة في أشخاص معينين وأماكن محدودة وهذا ما جعلها عاجزة عن التأثير وكانت الحركة الدينية أكثر انتشارا من الحركة الأدبية.[231]

هذا وقد حظيت هذه الفئة بالاحترام والتقدير من طرف المجتمع خاصة مع طلبتهم حيث كان أساس علاقاتهم الاحترام المتبادل بينهم لتفانيهم في خدمة العلم والثقافة لذا كانوا محل إجلال وتقدير وهذا من خلال كتب "التراجم" ومذكرات العلماء حول مشايخهم كما أن الطبقة الثرية والميسورة كانت تقلد أنماط سلوك هذه الفئة وكل فرد منهم إذا استقبل عالما عد شرفا له، وهذا بحكم تواجدهم في مجتمع يغلب عليه الفراغ الثقافي، كما في بعض المصادر أنه أثناء حملات البايلك كان الأهالي يقدمون العلماء أمام "المحلة" حاملين "صحيح البخاري" طلبا للأمن لهم وللسكان وكدليل على الطاعة ودفع الضريبة. [232]

وقد أظهر العديد من الحكام اهتماما كبيرا بهذه الفئة خاصة بإقليم بايلك الشرق باعتباره من أهم المراكز الثقافية والعلمية وقد أولى صالح باي احتراما كبيرا ومعاملة حسنة للعلماء والمرابطين فأجزل لهم العطايا واسقط عنهم المطالب المخزية ومنحهم اقطاعات وكدليل على ذلك في معاملته الحسنة لهم وثيقة حررها بنفسه جاء فيها:" ليعلم من يقف على أمرنا أننا أنعمنا على السيد بدر الدين وأخيه المسعود ولدي محي الدين وأولاد الشيخ البركة سيدي الجودي وجنودنا لهم على مقتضى ما بيدهم من أوامر إخواننا السابقين لا قائد لا تركي ولا شيخ ولا متولي من عمال فلا ينتهك حرمتهم... ".[233]

---

[231] محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص 54 – 55.

[232] ناصر الدين سعيدوني: ورقات...، ص 283 – 284.

[233] فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص 53.

وما يمكن أن نقوله عن هذه الفئة هو أنها كانت نافذة السلطة الحاكمة على المجتمع وهذا من خلال الوظائف التي تقلدها من خلال مراتب الإفتاء، القضاء، الإمامة وغيرها من الوظائف الدينية التي تعد أحد مجالات التعبير عن السلطة المحلية، التي أولت اهتماما كبيرا بهذه الفئة وعلاقة تقوم على الاحترام المتبادل.

ثانيا: العلوم النقلية والعلوم العقلية

أ- العلوم النقلية:

عرف ابن خلدون في مقدمته العلوم النقلية على أنها العلوم الوضعية المسندة كلها إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيه للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول... "، وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرع من الكتاب والسنة وهي ممثلة في الفقه وأصوله وعلم القراءات والحديث وعلوم عقلية[234]، ولقيت علوم القرآن والسنة من تفسير وقراءات وحديث فقه وتصوف اهتمام الشعب وحفلت بها المجامع والمعاهد الدينية والزوايا المجال الخصب لازدهار هذه العلوم كلها وقد ازدهرت الدراسات الفقهية وكان الفقه غالبا على المذهب المالكي الذي كان أكثر انتشارا وشهد نهضة فكرية كبيرة في العلوم الدينية حيث تعددت تآليف هذا النوع من العلماء، وأصبح الإقبال عليهم كثير ومن أهم هذه العلوم نجد:[235]

[234] عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الواحد وافي يحنة، البيان العربي، القاهرة، 2005، ص 779 – 780.

[235] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 2، ص 9.

1-علم الحديث:

وهو أحد العلوم التي تفردت بها الأمة الإسلامية وهو منهج لتحديد صحة الأحاديث والأقوال المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي نقلها الصحابة والتابعين من بعد والأفعال والتقريرات والصفات وروايتها وضبتها وتحرير ألفاظها وهو إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم وكذلك لينفع الوثوق بأخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاها.

فنلاحظ نقص الاهتمام بالدراسات الفقهية والأصولية والفرعية، ولكن رغم ذلك فهو العلم الذي تفجرت منه بحار العلوم الفقهية والأحكام الشرعية وتزينت بجواهره التفاسير القرآنية والشواهد النحوية.

وقد اهتم العلماء في بايلك الشرق كثيرا بهذا العلم وما يؤكد لنا ذلك هو مكانة صحيح البخاري في الحياة الدينية والاجتماعية وهي مكانة عظيمة حتى أنه كان ينافس المصحف في كثرة الاستعمال، وهناك ثروة كبيرة تركها العلماء لهذا العلم، كما أن إجازتهم لغيرهم قد تضمنت روايتهم للحديث وشيوخهم وكانوا حريصين في أسفارهم وحجهم على الدراسة وطلب العلم ولاسيما علم الحديث وذلك لعدم وجوده معاهد عليا للتعليم، [236]في بلادنا وعمل أيضا هؤلاء العلماء على نشر هذا العلم في طريق الإجازة ومن أشهر علماء هذا العلم في إقليم بايلك الشرق نجد ابن العنابي وأحمد البوني وعبد الرحمان باش تارزي.[237]

[236] أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 25 – 27.

[237] نفسه، ص 27.

2-علم التفسير:

التفسير هو كشف معاني القرآن وبيان المراد منه وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والمقصود منه.

وقد عرف علماء اللغة التفسير كمصطلح بأنه الكشف والإظهار والبيان بحيث يصبح الكلام لا يعتريه الغموض والضبابية، أما مبحث هذا العلم فهو تفهم بمعاني القرآن وتفسير آياته تفسير تفسيرا صحيحا لاستنباط أحكام شرعية صحيحة. [238]

وإذا أخذنا التفسير من ناحية التدريس فقد كان شائعا بين العلماء البارزين أمثال عبد القادر الراشدي، ومن الطبيعي القول أنه ليس كل من تناول التفسير أجاد أو جدد فيه، ذلك أن ظاهرة التقليد والحفظ كانت مسيطرة على العلماء حيث كانوا يكررون أقوال المفسرين المتقدمين وقليل ما يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر.

أما من ناحية التأليف فالخوض فيه قليل رغم شهرة مدرسة قسنطينة العلمية إلا أنه اتسم بالنقل والتقليد عن العلماء السابقين. [239]

3-التصوف:

أما التصوف فقد تحول إلى دروشة يتبلور في التوسلات بالأضرحة والقبور والركون إلى الخرافات الخيالية، وقد سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في المجتمع

[238] عبد الرحمان ابن خلدون: المرجع السابق، ص 118 - 119.

[239] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 2، ص 12 - 16.

الجزائري خلال العهد العثماني وهذا ما أدى إلى كثرة الإنتاج العلمي في هذا الميدان حيث نجد الكثير من الكتب والرسائل والتقاليد والمنظومات التي تتناول التصوف كالأذكار والأوراد والردود والمناقب والمواعظ والحكم والشروح الخاصة بقصائد صوفية والمدائح النبوية التي تنظر إلى الرسول (ص) وسيرته نظرة روحانية. [240]

4-علم القراءات:

نال علم القراءات عناية كبيرة من طرف العلماء المشتغلين بعلوم القرآن في مختلف عصور التاريخ الإسلامي، وبعد من أشرف العلوم الإسلامية وأشدها توثقا بكتاب الله، وقد تصدر علم القراءات قائمة العلوم الشرعية فكثر التصنيف فيه وزاد الاهتمام به وتوسعت رقعة انتشاره. [241]

وقد اشتهر هذا العلم في الجزائر بالتدريس أكثر من التأليف وقد كانت قسنطينة مقصد للعلماء للإتقان والبراعة في هذا العلم.

ب-العلوم العقلية:

عرفها ابن خلدون أنها العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإسلام بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضاعاتها ومسائلها، وكان لهذه العلوم دورها وأهميتها باعتبارها من الضروريات لتحقيق التقدم الذي كان جل اهتمام العلماء ومن الملاحظ أن أصحاب هذه العلوم لم يكونوا منفصلين عن باقي العلوم الدينية ومن أهم هذه العلوم نجد:

[240] أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 111، 112.

[241] عبد الرحمان ابن خلدون: المرجع السابق، ص 494.

1-اللغة العربية وآدابها: إن اهتمام بالعلوم الدينية يؤدي إلى الاهتمام باللغة العربية وآدابها من نحو وشعر ونثر وذلك لكونها لصيقة بالقرآن الكريم فالعربية هي لغة القرآن والسنة وقد ذكر ابن خلدون هذا بقوله علوم اللسان العربي أربعة أركان وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة.[242]

وبعد "علم النحو" من قوانين اللغة العربية والذي عرف اهتماما كبيرا لدى علماء الجزائر حيث اشتهرت زاوية "خنقة سيدي ناجي" بالنحو حيث ذكر الورثلاني أن النحو كان يعتني به كثيرا هناك.[243]

2-التاريخ والجغرافيا:

عرفه ابن خلدون أنه ما يوقعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، "التاريخ والجغرافيا" من العلوم الأولى التي اهتم بها المسلمون رفقة العلوم الدينية الأخرى لكنها لم تحضى بعناية كالعناية التي أولوها للعلوم الأخرى لأن الاهتمام كان منصبا على علوم الدين واللغة العربية باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه عملية تعريب البلاد[244] ونجد ممن اهتم بهذا العلم ابن العطار.

3-المنطق:

إذا حكمنا على الإنتاج الجزائري في علم المنطق مما وجد له فإنه إنتاج قليل بل نادر فباستثناء عمل علماء القرن 15 م أمثال ابن قنفد والسنوسي والمغيلي وهذا النقص في هذا

[242] عبد الرحمان ابن خلدون: نفسه، ص 105.

[243] الحسين بن محمد الورثلاني: المرجع السابق، ص 119.

[244] عبد الرحمان ابن خلدون: المرجع السابق، ص 115.

العلم يعود إلى سببين، الأول: صعوبة هذا العلم لأنه يتطلب الإطلاع الواسع على كتابات الأولين والأجانب والإضافة عليها ونقدها، والسبب الثاني هو طغيان علم التصوف واعتبار علم المنطق يؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة ويعتبر عبد الرحمان الاخضري أبرز من ألف في المنطق وقد ظلت أعماله يعتمد عليها إلى هذا القرن، ومن أواخر من ألف في المنطق في العهد العثماني أبو راس الناصري وعبد العزيز الثميني.[245]

ومن هنا نستنتج أن العلوم العقلية والعلوم النقلية كانت محل اهتمام العديد من العلماء الذين أبحروا في مختلف جوانب هذه العلوم، وقد كانت العلوم النقلية أكثر اهتماما من طرف العلماء وذلك راجع إلى الثقافة الدينية أو الفكر الديني الذي يغلب عليهم وتعلقهم بالقرآن والسنة دون البحث في العلوم الأخرى.

كما تميزت هذه الحركة العلمية بالتكرار أو النقل عن السابقين وعدم التجديد والبحث المحدود وذلك بالاعتماد على مؤلفات العلماء الذين سبقوهم دون إضافات جديدة وهذا لتأثرهم بالتصوف الذي يرى أن الخوض في العلوم العقلية هو بمثابة الكفر.

ثالثا: أشهر العلماء والمؤلفين في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني

أ-عبد الرحمان باش تارزي:

هو العلامة الولي الشيخ الحاج عبد الرحمان باش تارزي بن أحمد حمودة بن مامش باش تارزي الجزائري المنشأ القسنطيني دارا، وناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة التي أخذها عن شيخه الشيخ بن عبد الرحمان القشطولي الزواوي الأزهري.

[245] أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 149.

كان وحيد دهره علما وحكمة واتقانا وصلاحا، نشر الطريقة الرحمانية في عهده انتشارا كبيرا، توفي في مدينة قسنطينة وهو مدفون بزاويته وذلك عام 1221 هـ.

وقد ترك عدة آثار قيمة منها كتب ومنظومات دينية كثيرة(انظر الملحق رقم04) وقصائد وموشحات تدل على غزارة علمه وعلى تدينه وتقواه واحترامه لأهل العلم والتفاني في نشر العلم والفضيلة لدى جميع الناس. [246]

ب-أبو منظور عمار الشريف القسنطيني:

هو العلامة الشريف أبو منصور الشريف كان نخبة قسنطينة ودرة أعيانها فقيها، أديبا، أصوليا، بيانيا ومشاركا في جميع الفنون أخذ عنه الونيسي الأصغر والميلي وتقلد نضارة الأوقاف والقضاء مرتين والخطابة بجامع رحبة الصوف، مات سنة 1241 هـ.

ج-عبد القادر الراشدي القسنطيني:

هو عبد القادر بن محمد الراشدي فقيه مالكي قاض أصله من الرواشد وهو العلامة المحقق المجتهد الأصولي الكلامي، قرأ في وقته وعضد زمانه توفي أوائل العشر الثامنة من الثاني عشر هجري. [247]

أما عائلة الراشدي فإننا لا نكاد نعلم عنها الشيء الكثير سوى ما استطعنا إحصاءه من كتب التراجم حيث تبدو عريقة في ميدان العلم والمعرفة.

[246] أبي القاسم محمد الحفناوي: المرجع السابق، ص 205 – 206.

[247] أبي القاسم محمد الحفناوي: نفسه، ص 288 – 296.

إن الشيخ الراشدي قضى حياته في قسنطينة وبها سطع نجمه وانتشرت شهرته فهو قد تولى مهنة التدريس بها في المدرسة التي أنشأها صالح باي بايزاء الجامع الأخضر.

فالشيخ الراشدي لم يتولى مهنة القضاء المالكي والإفتاء ولسعة علمه وتعدد معارفه وبلوغه درجة عليا من العلم إدعى الاجتهاد في عصره وهذا الإدعاء وغيره قد أحدث له متاعب ومشاكل من طرف خصومه الذين عملوا بكل الوسائل للقضاء عليه وعلى أفكاره التي انتشرت بين الطلبة والناس بصورة واسعة النطاق في قسنطينة وغيرهما. [248]

والشيخ الراشدي لم يكن عالم دين وحكم فقط بل كان رجل كفاح وجهاد فهو انضم إلى الجيش الجزائري الذي خرج من قسنطينة في طريقه إلى مدينة الجزائر بقيادة باي قسنطينة صالح باي للدفاع عن مدينة الجزائر[249]. حيث يقول فيه الشيخ الحسن الورثلاني في كتابه "نزهة الأنظار": " وقاضي الجماعة النحوي المتكلم الأصولي المنطقي البياني المحدث المفسر صاحب الأبحاث الشريفة والفوائد المنيفة سيدي عبد القادر الراشدي ".[250]

ومن شيوخ الراشدي الذي أخذ عنهم أحمد زروق البوني وغيره ومن تلامذته الذين أخذوا عنه المرتضى الزبيدي وغيره.[251]

أما مؤلفاته فهي عديدة منها:

- كتاب شرح فيه سادسة عقائد السنوسي

[248] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 76.

[249] سعودي يمينة: نفسه، ص 76.

[250] الحسين بن محمد الورثلاني: المرجع السابق، ص 629.

[251] محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص 78.

- كتاب متسعة الميدان في إثبات وجه الوزن وآلته في الميزان " تعرض فيه الشيخ الراشدي إلى المتشابه في الاعتقادات.
- كتاب " منحة الراشدي الذي أصابته "، وهو الآن مخطوط ضمن مجموع رسائل الراشدي ويقع في حوالي 160 ورقة وهذا الكتاب يأتي سد الفراغ.
- كتاب " عقد اللآلئ المستضيئة لنفي ظلام التلبيس ".
- له قصيدة: سردها في الرد على أضداده في قضية المتشابه وتفضيل النقول على العقول أولها:

خيرا عني المؤول أني كافر بالذي قضته العقول

ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول

لتقولان إن ذا أكثر النا س عليه وأنه لعدول

شرعوا لهم من الدين ما لم بإذن الله أو يقله رسول

فاحذر أهم ومن تلاهم إذا قي ل اتبعوا منزل الكتاب يقول

بل هنا نتبع الآباء والأشيا خ كمال قال كافر وضلول

- له رسالة في تحريم الدخان تسمى " تحفة الأخوان في تحريم الدخان ".(انظر الملحق رقم09)
- له رسالة في التوحيد في غاية النفاسة [252]

[252] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 80.

د-محمد الشاذلي القسنطيني:

هو محمد بن الحاج محمد بن إبراهيم بن أحمد الصولي من قبيلة البوازيد التي تقطن طولقة بالزيبان ولد سنة 1222 هـ/ 1807 م، وحين هاجرت الأسرة من موطنها إلى مدينة قسنطينة لما كانت منطقة الزيبان لشهده من ظلم الطبيعة وانتشار الأوبئة وجور الحكام. [253]

وكانت قسنطينة أثناء تكوين الشاب محمد الذي اختصر اسمه إلى محمد الشاذلي شهد حركة علمية على رأسها نفر من شيوخ العلم التقليديين الذي تلقى على أيدي بعضهم معارفه الأدبية والفنية.

فقد قرأ الفقه والحديث واللغة والأدب والخطابة والحساب وحضر مجالس الشيخ محمد بن سالم والشيخ أحمد العباسي الذي كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة والذي تولى القضاء المالكي والخطابة في مسجد رحبة الصوف وأخذ عنه الشاذلي الحديث والقراءات والأدب واللغة، تأثر به وقرأ كذلك عن الشيخ ابن طبال الفقه والأصول كما أخذ على الشيخ مصطفى باش تارزي رأس الطريقة الرحمانية علوما شتى كما أنه وأثناء هذه الفترة من تكوين الشاب محمد الشاذلي تداول على ولاية قسنطينة عدد من البايات الأتراك والكراغلة منهم: (أحمد القلي، صالح باي، أحمد طبال)، وقد كانت له عدة رحلات وزيارات ومن الآثار التي خلفها محمد الشاذلي فهي عبارة عن مجموعة من الرسائل ومجموعة أخرى من القصائد. [254]

[253] أبو القاسم سعد الله: محمد الشاذلي القسنطيني، 1807 – 1817، دراسة من خلال رسائله وشعره الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م، ص 14.

[254] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 103 – 104.

هـ-الحاج أحمد المبارك بن عمر بن محمد العطار القسنطيني:

هو الحاج أحمد بن عمر العطار القسنطيني المعروف بالحاج أحمد المبارك[255]، ولد بقسنطينة حوالي 1790 وقضى طفولته بميله عند أعمامه بن العطار، حيث درس مبادئ الفقه واللغة العربية بزاويتهم ثم انتقل إلى قسنطينة لتلقى العلم بها على يد بعض شيوخها المشهورين منهم الشيخ عمار العربي وعمار الميلي ومحمد العربي بن عيسى والشيخ العباسي الذي تأثر به كثيراً.

اشتغل الحاج أحمد بالتجارة في شبابه وكان يتردد على تونس للتزود بالبضائع كالعمائم والحرير وأنواع العطور وقد حصر أثناء وجوده بتونس بعض الدروس بجامع الزيتونة.[256]وبعد أدائه فريضة الحج استقر بقسنطينة وتولى التدريس بالجامع الأعظم خلفا لشيخه العباسي بعد وفاته ثم اسند له الإفتاء المالكي بعد وفاة محمد العنابي وعين نظرا لمهامه عضوا بالمجلس الشرعي الإسلامي بقسنطينة وتولى أثناء ذلك مهمة التدريس بالمدرسة الحكومية تحت إدارة الشيخ محمد الشاذلي ثم لم يلبث أن عزل عن مهامه بعد أن ثبت اتصاله سريا بالحاج أحمد باي بعدها ظل وفيا للطريقة الحنصالية المنتسب إليها وقد ظل الحاج منتميا إليها حتى وافته المنية عام 1870 م ودفن في مقر الزاوية.

وقد وصف الحفناوي الشيخ أحمد المبارك القسنطيني في كتابه " تعريف الخلف برجال السلف " بأنه: " وقاد القريحة بدية الإدراك، واسع الفكر عريض الفهم والإدراك ".

ترك الشيخ أحمد العديد من التقاييد منها: منظومة في الإشادة بشيخه العباسي وقصيدة في مدح الرسول (ص) وميثاق الطريقة الحنصالية بعنوان " السلسلة في طريقة الشيخ الزواوي

[255] عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 11.

[256] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 96.

" وحاشيته على منظومة الشيخ عبد الرحمان الأخضري " الجوهر المكنون في الثلاثة قرون " وهي أصناف البلاغة من معان وبديع وصفها تحت عنوان " سلم الوصول مع الصلاة على الرسول "، إضافة إلى الإجازات التي تحصل عليها.(انظر الملحق رقم05)

غير أن ما اشتهر به الشيخ أحمد المبارك وعرف هو تاريخه حول مدينة قسنطينة المعروف " بتاريخ حاضرة قسنطينة "، (انظر الملحق رقم08)، وهو مصنف صغير الحجم لا تزيد صفحاته عن 38 صفحة غير أنه يحتوي على معلومات مهمة تعرض فيه باختصار الأحداث التي عرفتها قسنطينة في العهد العثماني مع إشارة سريعة في مستهله إلى تأسيس المدينة وموقعها وتحصيناتها وقد ركز فيه بالخصوص على بعض الأعمال العمرانية لصالح باي وقصة مقتلة وتولي حسن باي مكانه مع ذكر بعض الحضارات التي تعرضت لها قسنطينة من الأعراب الهلاليين ومن أبي عنان المديني ومراد باي التونسي وحمودة باشا الحسيني التونسي والثائر ابن الأحرش الدرقاوي[257].

هذا بالإضافة إلى تعريف موجز ببعض البيانات الذين تولوا الحكم ببايلك قسنطينة مثل الحسن الكلياني، حسن بوحنك ،أحمد باي القلي، صالح باي، قبل أن يختم كتابه بترجمة لكل من الشيخين فتح الله وأحمد القبائلي على بعض الكتب المتداولة ذكر منها: المؤنس لابن دينار القيرواني على أن مصادره الأساسية هو ما أخذه عن الشيوخ الذين عاصروا الأحداث وتناقلوها[258] عن طريق الرواية وقد تميز مؤلفه " تاريخ قسنطينة " بأسلوبه السهل الذي يغلب على ضعف الربط ولغته البسيطة التي تتخللها الألفاظ الدارجة والتراكيب العامية التي تعكس

[257] يمينة سعودي: المرجع السابق، ص 96.

[258] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 96 – 97.

مستوى ثقافة عصره وقد ركز على الأحداث السياسية وأهمل الحياة الثقافية والأوضاع الاقتصادية.[259]

صالح بن محمد العنتري:

هو صالح بن أحمد العنتري ولد بقسنطينة في أوائل القرن التاسع عشر ما بين سنة 1205 هـ/ 1790 أو 1215 هـ/ 1800 م توفي بها سنة 1293 هـ/ 1876[(260)]، ونسب إلى عائلة عريقة اشتهرت بالاشتغال في وظائف الكتابة والمهام الإدارية فأبوه محمد كان كاتبا لدى الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة وقد بعثه الحاج أحمد باي ليفاوض الفرنسيين حين هاجموا قسنطينة وعسكروا بقالمة فاجتمع بهم محمد العنتري في حمام المسخوطين وفاوضهم حول المهمة التي كلف بها ثم عاد إلى قسنطينة وأخبر الباي بما رأى وسمع فنقم هذا عليه واتهمه بالخيانة ثم قتله.

أما جده أحمد فقد كان كاتب ديوان صالح باي، أما صالح العنتري فقد اشتغل بوظيفة الكتابة بالمكتب العربي الذي أنشأ بقسنطينة تحت إشراف وإدارة الضابط الفرنسي "بواسيني" برتبة "خوجة الدايرة".

تلقى العنتري تعليمه بقسنطينة على يد شيوخ أجلاء أشهرهم "أحمد العباسي" "وعلي التونسي" "وعمار المغربي" "ومحمد عبد الرحمان باش تارزي"، وأظهر منذ صغره ولعه بالأخبار والتواريخ وميلا إلى العمل الإداري فالتحق بالتوظيف باكرا وتولى كتابة تحرير الكتابات باسم الضابط "بواسيني" وأثناء ذلك اكتسب إطلاعا على الثقافة الفرنسية واشتغل مدة

[259] سعودي يمينة: نفسه، ص 97.

[260] عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 8.

بالتدريس ثم تولى القضاء بقسنطينة وعد من مجموعة علماء قسنطينة وأعيانها الذين شاركوا في الرحلة إلى باريس.

اشتهر صالح العنتري بكتابين ألفهما أثناء قيامه بوظيفته في "بييرو عرب" بقسنطينة أولهما هو الأخبار المبينة المذكورة في تاريخ قسنطينة سنة 1846 م الذي ألفه تلبية لطلب الضابط بواسيني وتوقف فيه عند زيارة "الدوق دمال" قسنطينة وقد عرف هذا الكتاب بعناوين مختلفة منها: " كتاب الأخبار في تاريخ قسنطينة "، " فريدة مؤسسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها "، (انظر الملحق رقم06) وذكر شيء مستقاة من سيرة باياتها إلى انقضاء دولتهم واحتواء الفرنسيين على مملكتهم، وتضمن أخبار قسنطينة في العهد العثماني منذ فرحات باي (1057 هـ/ 1647 م) مع التوسع فيما يتعلق بأحمد باي والفترة الأولى للاحتلال. [261]

يعتبر تاريخ بايات قسنطينة للعنتري من أوائل الكتب التاريخية التي عالجت تاريخ قسنطينة بالتفصيل اعتمادا على الروايات والمشاهدات والاستناد إلى وثائق العائلات العريقة بالمدينة والوثائق الرسمية التي وضعها المكتب العربي تحت تصرفه وهذا ما جعله ينفرد بإيراد أخبار لم يذكرها غيره من معاصريه مثل أحمد المبارك، النميري غير أنه يلاحظ على العنتري تهجمه على الحاج أحمد باي ذلك لأنه ظل يحمل هذا الباي مسؤولية قتل والده عام 1837م ولعل هذا ما جعل العنتري يميل إلى الفرنسيين ويبدي إعجابه بإنجازاتهم.

أما الكتاب الثاني فهو: " سنين القحط والمسيغة " حيث أورد فيه الحالة الاجتماعية والاقتصادية لقسنطينة في فترة المجاعة.(انظر الملحق رقم07)

[261] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 99 – 102.

تميز صالح العنتري فيما كتبه عن تاريخ قسنطينة أو ما سجله من أزمات اقتصادية بالشرق الجزائري بوفرة معلوماته وتنوعها مقارنة مع الشيخ أحمد المبارك وكذلك بدقة ملاحظاته ونظرته المحايدة. [262]

ومن هنا نستنتج أن لعلماء بايلك الشرق إسهامات كبيرة في إثراء الثقافة في شتى العلوم وذلك من خلال مؤلفاتهم المهمة والتي تعتبر إرث حضاري وثقافي يعبر عن ثقافة مجتمع بايلك الشرق التي ورثوها عبر العصور واهتمامهم الكبير بمختلف العلوم وتدوينها على شكل كتب ومخطوطات يعتمد عليها الطلبة لإثراء الرصيد المعرفي.

[262] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص 102.

نستنتج من خلال هذا أن فئة العلماء في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني قد حظيت بمكانة علمية كبيرة واحترمتهم السلطة وأعطتهم أهمية كبرى حيث أنهم كانوا يمثلون الرأي العام لذا كان يعتمد عليهم، في المقابل قامت السلطة بحمايتهم سواءا ماديا أو معنويا لذلك عملوا على كسبهم والتقرب منهم وهذا باعتبارهم القوة الوحيدة التي يلجؤون إليها لإخضاع الرعية فالسلطة كانت تعمل ما بوسعها لترضي هذه الفئة لخشيتها تأليب السكان ضدها، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد هذا الاحترام من طرف السلطة الحاكمة راجع إلى طبيعة العلماء الدينية خاصة مذهب التصوف.

وقد تميزت هذه الفترة ببعض الركود في الإنتاج العلمي الجديد فقد كان محصورا في التقارير التي لا تكتمل وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية وغلب عليه التقليد، وأصبح أسلوب التأليف يغلب عليه الأسلوب العامي، كما اعتمد العلماء على الأسلوب النقلي كما كان الاهتمام قد تركز على التعليم الديني دون الاهتمام بالمجالات الأخرى.

خاتمـــــــة

ختاما لهذه الدراسة التي تناولت الوضع الثقافي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني تم التوصل إلى النتائج التالية:

عرف إقليم بايلك الشرق اهتماما كبيرا لدى الرحالة والمؤرخين، وذلك لما له من خصائص مميزة عن بقية الأقاليم الأخرى في الإيالة، إذ يعتبر من أوسع مقاطعات الجزائر وأكبرها مساحة وأغناها ثروة وأكثرها سكانا. فهذه المواصفات الطبيعية والجغرافية والشروط المناخية جعلت منه مكانة إستراتيجية كبيرة طيلة العهد العثماني.

كانت الحياة العلمية والثقافية في إقليم بايلك الشرق أواخر العهد العثماني تتميز بالنشاط رغم عدم اهتمام العثمانيين بالأوضاع الثقافية وتوحيد جهود المثقفين، إلا انه لم يمنع من نشر التعليم بجميع مستوياته وهذا بفضل الدور الذي لعبته مختلف المؤسسات الثقافات مثل المساجد والمدارس القرآنية والزوايا والمكتبات والطرق الصوفية، إذ كان التعليم منتشرا في جميع هذه المؤسسات التي انتشرت في كامل أرجاء البايلك.

وكانت مساهمة بعض الحكام والبايات وتشجيعهم عن طريق بناء المدارس والمساجد وتقريب العلماء قد حققت بعض النتائج الايجابية والمتمثلة في تعلم شريحة كبيرة من المجتمع القراءة والكتابة، وكما يبدو أن مؤسسة الوقف كان لها أهمية كبرى في خدمة العلم والثقافة في بايلك الشرق، إذ أن مردود المؤسسات الوقفية ساعد على توظيف المعلمين والعناية بالمؤسسات الخاصة بالتعليم ودفع أجور الموظفين بها، فنهوض صالح باي بالأوقاف ومجمل التشريعات والتدابير العلمية التي اتخذتها في إرساء نظام وقفي كان له الأثر الكبير في تغيير ملامح الحياة العلمية والثقافية في بايلك الشرق إلى غاية الاحتلال الفرنسي، وهذا ما يفند مزاعم الذين يدعون انعدام الثقافة قبل الوجود الاستعماري.

إن غلبة الروح النظرية على التعليم الذي لم يخرج عن علوم الدين ومختلف فروعه تأثر مجتمع بايلك الشرق كبيرا بالتصوف كعلم والتجريد في التجربة الروحية للمرابطين وانتشرت

الطرق الصوفية وأصبح التطبيق العلمي للشرع قولا وعملا وأخلاقا، وقد عرفت الطريقة الرحمانية انتشارا كبيرا في إقليم البايلك وقد كان لها تأثير ايجابي على المجتمع.

إن الحركة العلمية والفكرية في بايلك الشرق عموما كانت غنية بالرصيد الفكري لدى المجتمع، وهذا راجع إلى الموروث الثقافي من العهد الحفصي مع الحفاظ على هذا الموروث، عرف الإقليم أواخر العهد العثماني نشاطا علميا لم يتأثر بمختلف التطورات السياسية التي عرفتها المنطقة، وذلك بفضل علمائها ومثقفيها الذين غلبت عليهم الروح الفقهية والعقائدية، كما غلب عليهم التقليد وقد ظهرت في الفترة الأخيرة من العهد العثماني مجموعة من العلماء والمؤلفين الذين نشطوا الحياة الثقافية في تلك الفترة.

أخيرا نقول هذا ما تمكنا جمعه والتوصل إليه، فإن وفقنا فمن الله وحده وان أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان نستغفر الله على ذلك والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الملاحـــــق

الملحق رقم:01

صورة للجامع الكبير بقسنطينة

المرجع:عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص555.

الملحق رقم:02

المسجد الكبير
مسجد سوق الغزل
مسجد سيدي الكتاني
مسجد رحبة الصوف
مسجد سيدي مفرج
مسجد سيدي علي مخلوف
مسجد سيدي عبد القادر
مسجد سيدي راشد
مسجد سيدي إبراهيم الراشدي
مسجد سيدي شاذلي
مسجد سيدي محمد بن ميمون
مسجد سيدي الصفار
مسجد سيدي مومن
مسجد سيدي عمر الوزان
مسجد سيدي بوعنابة بالقصبة
مسجد سيدي الجواري الكبير
مسجد سيدي الشققة
مسجد سيدي عبد الرحمان المناطقي
مسجد سيدي عبد المومن
مسجد سيدي علي التلمساني

جدول يمثل بعض مساجد قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي

المصدر: الطاهر بونابي: ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة عصور، عدد18، أكتوبر 2015/1436، جامعة وهران، ص125.

الملحق رقم:03

زاوية الخزارين أو(ابن الفكون)
زاوية اولاد بن جلول
زاوية الصوايد
زاوية سيدي علي التلمساني
زاوية الرقاقين
زاوية باب الواد
زاوية اولاد بن باديس
زاوية سوق الخرق
زاوية النجارين
زاوية بن الواعر
زاوية رضوان

الزوايا في مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي

مدرسة سيدي الكتاني
مدرسة سيدي بومسيبة
مدرسة سيدي حيلوف

مدارس مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي

المصدر:الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص127.

الملحق رقم:04

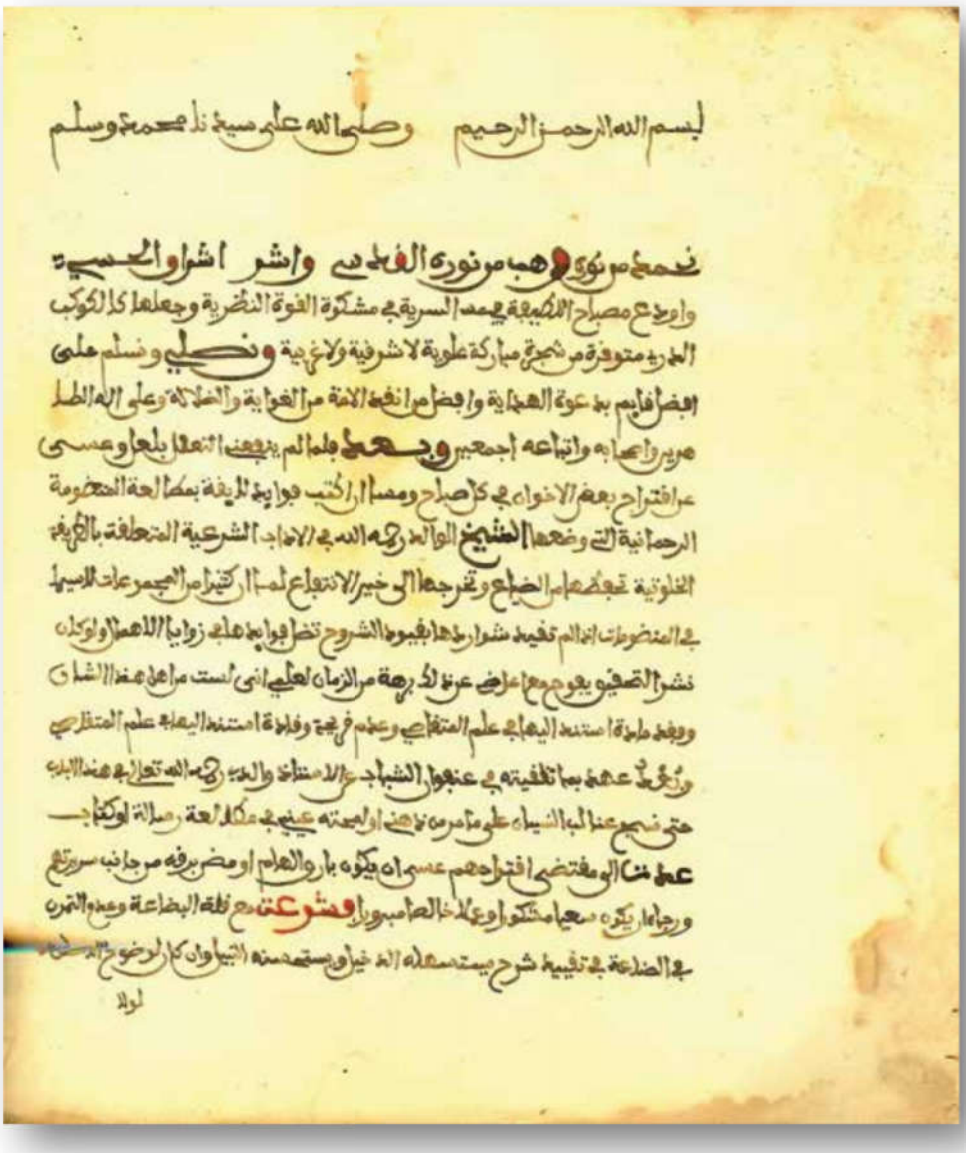

مؤلف بعنوان: المنظومة الرحمانية لعبد الرحمان باش تارزي القسنطيني

المصدر: مشهد جمال الدين: المرجع السابق، ص132.

الملحق رقم:05

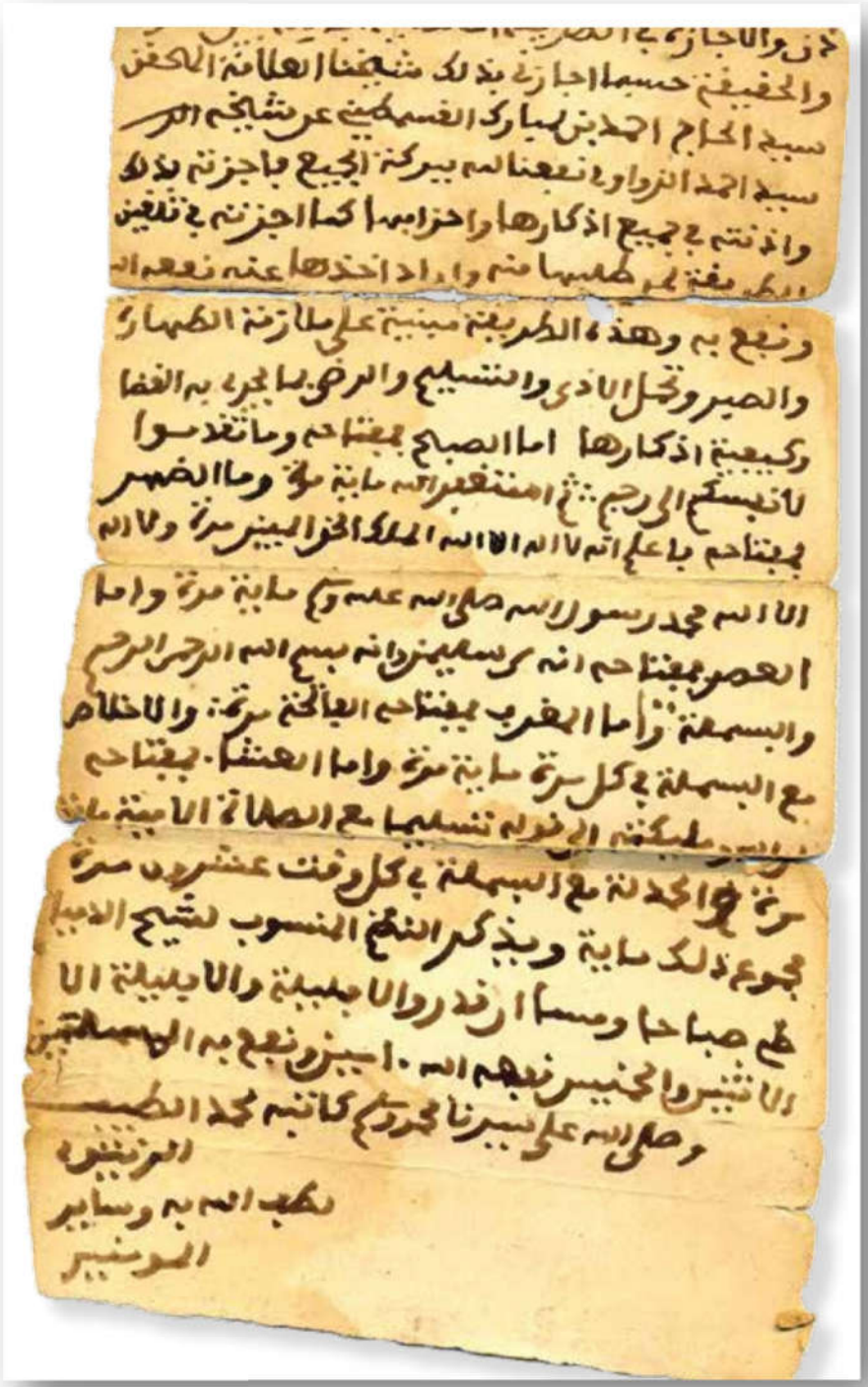

إجازة الشيخ العالم احمد المبارك

المصدر: مشهد جمال الدين: نفسه، ص134.

الملحق رقم:06

مخطوط بعنوان فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها لمحمد لصالح ابن العنتري.

المصدر: المتحف العمومي الوطني سيرتا، من التراث القسنطيني المخطوط،معرض منظم في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، من 16 افريل الى 31 جويلية2015، ص164.

الملحق رقم: 07

مخطوط بعنوان مجاعات قسنطينة لمحمد لصالح ابن العنتري

المصدر: نفسه، ص194.

الملحق رقم:08

كتاب تاريخ بلد قسنطينة لمحمد بن المبارك بن العطار

المصدر: نفسه، ص208.

الملحق رقم:09

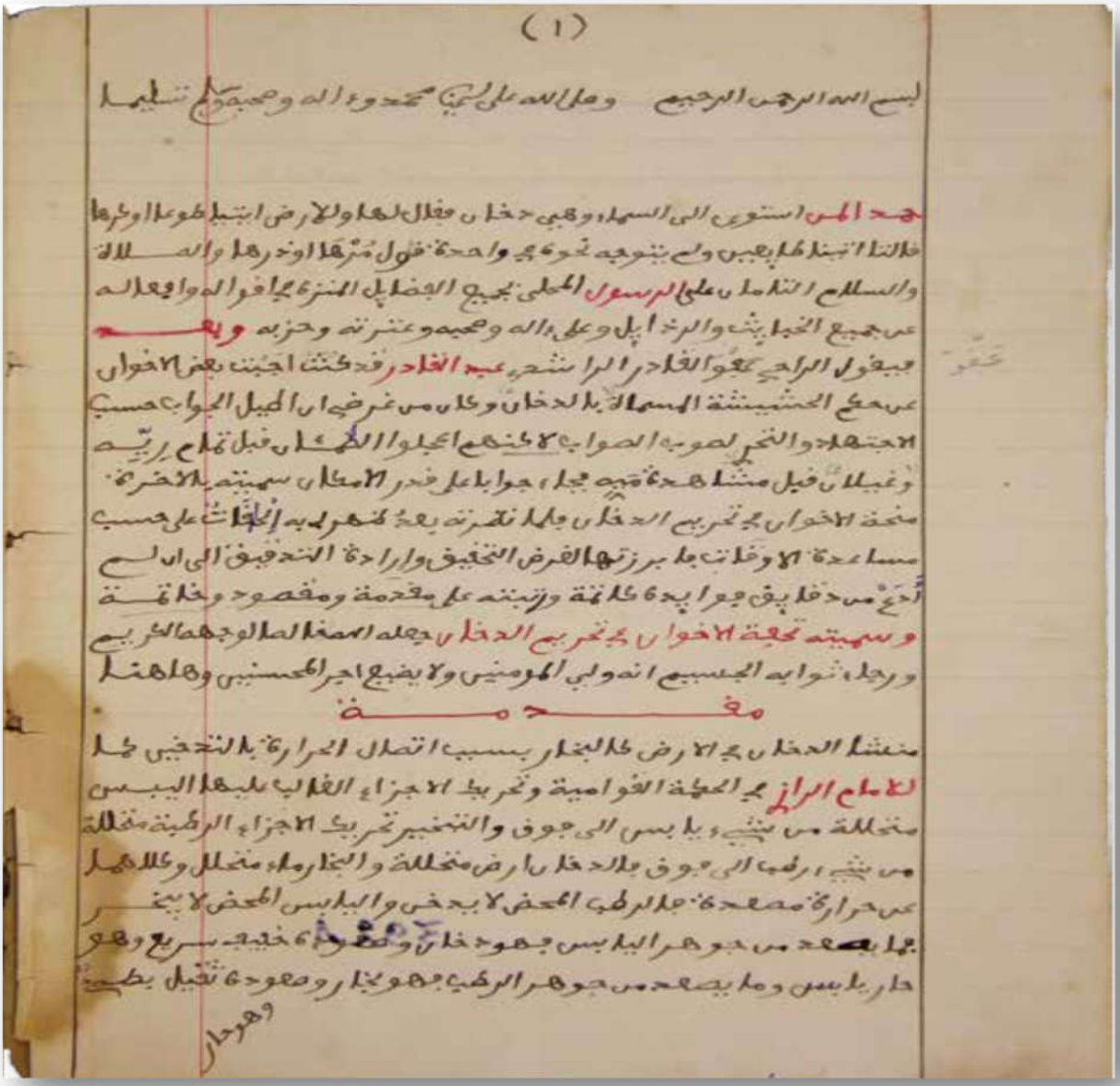

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ولم يتوجه نحوه بجهة واحدة فقول مرّها أو كرها والصلاة والسلام التامان على الرسول المعلى بجميع الفضائل المنزه عما قوله وأفعاله عن جميع الخبائث والرذائل وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه وبعد فيقول الراجي عفو القادر الراشدي عبد القادر فقد كنت أجبت بعض الإخوان عن معنى الحشيشة المسماة بالدخان وكان من غرضه أن أميل الجواب حسب الاجتهاد والنظر لصوبه الصواب لأن بعض أهل الدخان قبل تمام بريّه وغيلان قبل مشاهدة فيه مجالا جوابا على قدر الإمكان سميته بالأخرة منحة الإخوان في تحريم الدخان ولما نظرته بعد فهرته بالإخاث على حسب مساعدة الأوقات بارزتها الفرض التحقيق وإرادة التدقيق إلى أن لم أدع من دقائق جوابه علامة وزينته على مقدمة ومقصود وخاتمة وسميته تحفة الإخوان في تحريم الدخان جعله الله لوجهه الكريم ورجاء ثوابه الجسيم إنه ولي المؤمنين ولا يضيع أجر المحسنين وهاهنا

مقدمة

منشأ الدخان في الأرض هو البخار بسبب اتصال الحرارة بالنخيي كما للإمام الرازي في المحطة الغوامية وتحريك الأجزاء الغالب عليها اليبس متحللة من بينها ويابس إلى جوف والتغيير تحريك الأجزاء الرطبة متحللة من بينها ورطب إلى جوف بالدخان أرض متحللة والبخار ماء متحلل وكلاهما عن حرارة مصعدة فالرطب المحض لا يدخن واليابس المحض لا يبخر بل ما يصعد من جوهر اليابس جهوده دخان وصعوده خفيف سريع وهو حار يابس وما يصعد من جوهر الرطب جهوده بخار وصعوده ثقيل بطيء وهو حار

مخطوط تحفة الإخوان في تحريم الدخان لمؤلفه عبد القادر بن محمد بن احمد بن المبارك الراشدي.

المصدر: نفسه، ص212.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

أ / المصادر

1- الجزائري محمد بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ط2.

2- الورثلاني الحسين بن محمد: **الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، المجلد الثاني، تحقيق: ابن أبي الشنب، الجزائر، 1908.

3- الزهار احمد الشريف: **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

4- ابن حمدوش عبد الرزاق: **رحلة ابن حمدوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1983.

5- الحفناوي أبو القاسم محمد: **تعريف الخلف برجال السلف ج1**، تقديم: محمد الرؤوف القاسمي، موقم للنشر، 1991.

6- ابن العطار احمد المبارك: **تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870)**، تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنضر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

7- العياشي عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية 1661 ـ 1663م**، المجلد الثاني، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

8- ابن العنتري محمد الصالح: : **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم عليها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق: د. يحي بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

9- شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 ـ 1824** ، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

10- شلوصر فندلين: **قسنطينة أيام احمد باي 1832 ـ 1837** ، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر،2007.

11- خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق: د محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، الجزائر، 2005.

12-ابن خلدون عبد الرحمان: **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبد الواحد وافي يحنة، البيان العربي، القاهرة، 2005.

13- ابن خلدون عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م.

14- مؤلف مجهول: **أخبار بلد قسنطينة وحكامه**ا، دراسة وتحقيق: رياض بولحبال، مذكرة ماجستير في الدراسات العليا، جامعة قسنطينة،2010/2009.

ب/ المراجع

1/الكتب باللغة العربية

1- الأشرف مصطفى: **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

2-بوزياني الدراجي: **عبد الرحمان الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، بلاد للنشر والتوزيع، البويرة،2009.

3- بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

4-بوعزيز يحيى: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب** ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

5- بومهلة التواتي: **قسنطينة حصن إفريقيا**، دار المعرفة، الجزائر،2009.

6- بركات مصطفى: **الألقاب والوظائف العثمانية في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات 1517-1924**، دار غريب، القاهرة، 2000.

7- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام ج4**، دار الأمة، الجزائر، 2009.

8- دحدوح عبد القادر: **تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية**، دار المعرفة ، الجزائر، 2015.

9- هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، 1429، 2008.

10-الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

11-الحسيني عبد المنعم القاسم: **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862 ـ 1962**، دار الخليل للنشر ، الجزائر،2013.

12- حثروبي محمد الصالح: **قطف الجنان في تاريخ الزيبان دائرة زريبة الوادي**، دار الهدى، الجزائر، 2000.

13-كحول عباس: **زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد**، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، 2013.

14- المدني احمد توفيق: **كتاب الجزائر**، الجزائر،1350.

15- مياسي إبراهيم: : **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.

16- السهلي عبد الله بن دجين: **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها**، دار كنوز شيليا، الرياض، 1426هـ/2005.

17- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي1500 ـ 1830**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ط3.

18- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي1830 ـ 1854**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

19- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 ـ 1954**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

20- سعد الله أبو القاسم: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1406 ـ 1986.

21- سعد الله أبو القاسم: **محمد الشاذلي القسنطيني1807 ـ 1817** ، دراسة من خلال رسائله وشعره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

22- سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000.

23- سعيدوني ناصر الدين: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

24- عميراوي احميدة: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، 2002.

25- العسلي بسام: **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830، 1838**، دار النفائس، بيروت، 1983.

26- العقبي صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها**، دار البراق، بيروت، 2002.

27- فركوس الصالح: **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850م**، ديوان المطبوعات الجامعية"، الجزائر، 2007.

28- فركوس الصالح: **تاريخ الجزائر من عهد الفنيقين إلى خروج الفرنسيين (814ق م-1962م)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

29- فركوس الصالح: **الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

30- القاسمي عبد المنعم: **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل للنشر والتوزيع، مسيلة،2013.

31- خنوف علي: **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، الميزان للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر

32- خنوف علي: **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**، مكتبة طريق العلم،الجزائر،2007.

33- أبو الضيف مصطفى احمد عمر: **القبائل العربية في المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

2/ الكتب باللغة الفرنسية

1- Ernest mercier: **les deux sièges de Constantine(1836 – 1837)** ,Imprimerie librairie .L. poulet, 6, France, 1896

3/ المقالات

أ/ باللغة العربية

1- باشيخ أسماء وآخرون: **دور الزاوية في تنميط الفعل الاجتماعي في صحراء توات**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،عدد خاص،الملتقى الدولي تحولات المدينة

الصحراوية- تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضارية، جامعة أدرار.

2- بونابي الطاهر: ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة عصور، عدد18، أكتوبر 2015/1436، جامعة وهران.

3- بوسعد الطيب: : **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، غرداية، 2011.

4- برادة رشيدة: **الدور التربوي والتعليمي لمؤسسات التعليم العتيق في المغرب**، مجلة الجامعة المغاربية، العدد1، 2007.

5- درياس لخضر: **المخطوط القسنطيني في عيون الاحتلال**، من التراث القسنطيني المخطوط، معرض منظم في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015.

6- زيتوني إيمان: **صالح باي الأسطورة**، مجلة مقام، العدد1، افريل2015، قسنطينة.

7- بن يحيى فطومة: **مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية تاريخها ومصدرها**، من التراث القسنطيني المخطوط، معرض منظم في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015.

8- لوصيف سفيان: **المراكز الثقافية في منطقة الأوراس(1848 ـ 1954) قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي**، دورية كان التاريخية، العدد15، مارس 2012.

9- المشهداني مؤيد محمود حمد: **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 ـــ 1830**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد5، العدد16، نيسان 2013، 1434 ، جامعة تقرت.

10- عامر محمود: **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة الدراسات التاريخية العددان 17، 18، كانون الثاني-حزيران 2012، دمشق.

11- بن عبد الله زين الدين: **المقاومة في الفكر الصوفي**، مجلة بوليكرومي، العدد1،الندوات العلمية لسنة 2012، قسنطينة.

12- العيدي طويل: **مؤسسة الزاوية الجوانب الحقيقية للمقاومة والصمود**، مجلة بوليكرومي، العدد1،الندوات العلمية لسنة 2012.

13- عجيلة محمد وآخرون: **تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الصحراوي في الجزائر**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، المركز الجامعي غرداية، 2011.

14- العماري الطيب: **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد15، جوان 2014، جامعة بسكرة.

15- عميراوي احميدة: **اهتمام الحاج احمد باي بالحدود الشرقية الجزائرية**، مجلة بوليكرومي، العدد1، الندوات العلمية لسنة 2013.

16- فيلالي عبد العزيز: **مقاومة الحاج أحمد باي والقسنطينيين ضد الاحتلال الفرنسي**، مجلة بوليكرومي، العدد1،قسنطينة، الندوات العلمية لسنة 2012.

17- قشي فاطمة الزهراء: **نوازل الفكون وسجلات العدول**، من التراث القسنطيني المخطوط، معرض في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015.

ب/ باللغة الفرنسية

-1 Abdeljalil Temimi: le beylik de Constantine hadj Ahmed 1830 – 1837,publication de la revue d'histoire maghrébine- vol- 1-1971.

4/الملتقيات

1/ بن بوزيد لخضر: **مقاومة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي**، أعمال الملتقى الوطني المقاومة الوطنية في منطقة الزيبان خلال القرن19، يوم 15،16 جانفي 2017،(غير منشور)،بسكرة.

5/ الرسائل الجامعية

1- أعراب فهيمة: **التراث والسياحة(من خلال مدينة قسنطينة) دراسة تاريخية أثرية**، مذكرة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة قسنطينة، 2011/2010.

2- بومزو عز الدين: **الضباط الفرنسيون والإداريون في إقليم الشرق الجزائري (ارنست مرسبيه نموذجا)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

3- بوعزيز جهيدة: **الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1887م/1185-1258هـ)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة2، 2012/2011م.

4- بورايو عبد الحفيظ: **مدينة قسنطينة في أدب الرحلات**، مذكرة ماجستير في الآداب، جامعة قسنطينة، 2008/2007.

5- بوخلوة حسين: **عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988هـ - 1073هـ)/(1580 - 1663م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009/2008.

6-بوغدادة الأمير: **المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني(القضاء نموذجا)**، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، قسنطينة،2008.

7-كحول عباس: **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849 ـ 1959**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسنطينة،2010/2009.

8- مقصودة محمد: **الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014/1435م.

9- سيساوي احمد: **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838-1871**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2، 2014/2013.

10- سعودي يمينة: **الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية**، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005.

11- بن علية وفاء: **زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، باتنة، 2008.

12- صحراوي كمال: **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013/2012م.

13- قشاعي فلة المولودة موساوي: **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1989-1990.

14- قشوان عبد الرزاق: **السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، 2010/2009.

15- شويتام ارزقي: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

16- خليل كمال: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور (1850 - 1951)**، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2008/2007.

الفهارس

أ/ فهرس الأماكن

بايلك الشرق:6، 8، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 27، 29، 30، 32، 33، 36، 39، 45، 51، 61، 65، 74.

قسنطينة: 9، 6، 11، 12، 13، 14، 16، 18، 24، 26، 29، 30، 31، 32، 36، 37، 40، 41، 42، 45، 47، 48، 41، 56، 61، 70، 75، 76، 79، 80، 83، 84، 86، 87.

الجزائر: 6، 7، 11، 13، 29، 30، 31، 44، 46، 47، 48، 56، 57، 59، 60، 68.

عنابة: 7، 8، 40، 42، 43.

الأوراس: 8، 9، 10، 15، 24، 57، 59، 60، 62.

الحضنة: 9، 10، 25.

الشرق الجزائري: 6، 13، 14.

الخنقة: 31، 37، 42، 60، 77.

ب/ فهرس العلام

صالح باي: 17، 20، 21، 42، 43، 46، 47، 51، 52، 83.

احمد باي: 16، 20، 30، 31، 84.

ابن حمدوش: 33.

الفكون: 35، 27، 40، 48.

ابن خلدون: 73، 76، 77، 79.

احمد المبارك ابن العطار: 11، 83.

محمد الصالح ابن العنتري: 11، 85.

ج/ فهرس الملاحق

الرقم	العنوان	الصفحة
01	صورة للجامع الكبير بقسنطينة	88
02	جدول يمثل بعض مساجد قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي	89
03	الزوايا والمدارس في مدينة قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي	90
04	مؤلف بعنوان: المنظومة الرحمانية لعبد الرحمان باش تارزي القسنطيني	91
05	إجازة الشيخ العالم احمد المبارك	92
06	مخطوط بعنوان فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها لمحمد لصالح ابن العنتري	93
07	مخطوط بعنوان مجاعات قسنطينة لمحمد لصالح ابن العنتري	94
08	كتاب تاريخ بلد قسنطينة لمحمد بن المبارك بن العطار	95
09	مخطوط تحفة الإخوان في تحريم الدخان لمؤلفه عبد القادر بن محمد بن احمد بن المبارك الراشدي.	96

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وتقدير

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: الإطار العام لبايلك الشرق.....ص5

أولا: الحدود الجغرافية لبايلك الشرق.....ص6

ثانيا: الإطار التاريخي لبايلك الشرق.....ص11

ثالثا: التنظيم الاجتماعي لبايلك الشرق.....ص12

رابعا: التنظيم الإداري والعسكري لبايلك الشرق.....ص17

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية في بايلك الشرق.....ص26

أولا: أوضاع التعليم في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني.....ص27

ثانيا: المؤسسات الثقافية في بايلك الشرق.....ص30

ثالثا: الطرق الصوفية وتأثيرها في مجتمع بايلك الشرق.....ص50

رابعا: الطريقة الرحمانية وتأثيرها في ثقافة مجتمع بايلك الشرق.....ص56

الفصل الثاني: مساهمة العلماء في تنشيط الحياة الثقافية في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني.....ص64

أولا: مكانة العلماء الاجتماعية في بايلك الشرق.....ص65

ثانيا: العلوم النقلية والعلوم العقلية.....ص69

ثالثا:أشهر العلماء والمؤلفين في بايلك الشرق.....74ص

الخاتمة.....ص89

الملاحق.....ص92

الببليوغرافيا.....ص102

الفهارس.....ص113